الشيخ نعيم قاسم

الشباب

شُعلة تُحرِق أو تُضيء

دار الهادي

الشباب

شعلة تحرق أو تضيئ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشباب

شُعلة تُحرِق أو تُضيئ

الشيخ نعيم قاسم

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ISBN:9953-484-94-5

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الإهداء

ولدي

واكبتُ مراهقتك لحظةً بلحظة

واستذكرتُ معها مراهقتي

وأدركتُ الكثير مما تعلمتُه وخَبِرتُه.

ابنتي

لاحظتُ نُموَّك

واطَّلعت على ما يختلجُ في نفوس أقرانك

فاستنتجتُ أموراً كثيرة.

إليكما

وإلى الشبان والشابات

وإلى المتشوقين لمستقبل أفضل

أُهدي هذه الشعلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الخالق البارئ على نعمة الشباب، ونسأله تعالى أن يوفقنا لإدراك خصوصياتها وكيفية التعامل معها، فهو الموفق والمعين. والصلاة والسلام على قدوة البشرية وأسوتها محمد ﷺ، وعلى آله الاطهار عليهم السلام، وصحبه المنتجبين الاخيار (رض)، وعلى جميع نماذج العطاء والتضحية من المجاهدين والمجاهدات.

«الحديث مع الشباب حديثٌ عن أسسٍ للمستقبل، فهذه الشريحة الشبابية هي التي تؤسس للصلاح أو الفساد بحسب ما تتعبأ به، وبحسب ما ترسم لها من خطوات للمستقبل. من هنا سننطلق في منتدى الشباب من مجموعة من المحاضرات، تتبعها الأسئلة الحرة التي تقولونها كما ترغبون، ولا يوجد محرمات في السؤال، لذا أدعوكم سلفاً عندما ترغبون في طرح الأسئلة، سواءً أكانت مشافهة، وهذا أفضل، أو كانت خطية، بأن تكون بما يدور في خاطركم، وبما تريدون معرفته، فمن حقكم علينا أن نعرِّفكم على إجابات الإسلام، ومن حقكم علينا أيضاً أن نعينكم لتتبصروا طريق الحياة، ثم بعد

ذلك، أنتم الذين تختارون، وأنتم الذين تحسمون الموقف».

بهذه المقدمة بدأت الحديث مع الشباب، أخوة وأخوات، في سلسلة محاضرات تحت عنوان «منتدى الشباب»، حيث طلب المعنيون تقديم قراءة موضوعية معاصرة لأبرز قضايا الشباب ومسائلهم، وما يرغبون معرفته، وأبرز الحلول المقترحة للمشاكل التي يعاني منها المراهق والشاب، بحسب تكوينه من ناحية، وما استجدَّ من أفكار ونظريات معاصرة وتعبئة إعلامية موجهة من ناحية أخرى.

لم يرد القيِّمون على المنتدى عرضاً تقليدياً رتيباً، ولا طرحاً لأسس نظرية بعيدة عن واقع الشباب المعاصر، ولا تجنباً لتسمية الأشياء بأسمائها، ووافقتهم على ذلك، مع علمي بحساسية الموضوعات المطروحة، وتجنب الكثيرين من الخوض فيها، إلَّا أنَّها أصبحت حاجة فعلية لإرشاد الشباب، الذين يتلقَّون يومياً جملةً من المعارف التي تتجاذبهم عبر وسائل الاتصال والإعلام والمدارس والمجتمع، فلا يحق لنا أن نتحفَّظ ونسكت عن إبراز المواقف الصحيحة، وإلَّا أوقعنا الكثير منهم في مغالطات وتجارب مرَّة، في الوقت الذي تحدث فيه الإسلام بكل صراحة ووضوح، في القرآن الكريم، وما رُوي عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، عن خصوصيات ترتبط بالرجل والمرأة والعلاقة بينهما في الحياة الزوجية والأسرية، بطريقة موضوعية وتوجيهية لا تخدش الحياء، وترفع الجهل والحيرة.

شددتُ العزم، متوكلاً على الله تعالى، ومتأملاً أن أخفف من بعض معاناة وقلق الشباب، من بداية سن المراهقة إلى نهايتها، مستفيداً من الموضوعات التي طرحتُها في «منتدى الشباب»، ومن الأسئلة التي طرحها الأخوة والأخوات، معيداً ترتيبها، ومضيفاً عليها ما يتناسب مع تقديمها بشكل مكتوب ومتسلسل ومترابط، متجنباً للإسهاب والاطناب، موضحاً للأفكار بصراحة تصاحبها اللياقة في التعبير، محاكياً الشباب بلغة المصادق لهم، متأملاً أن يكون هذا الكتاب صاحباً لهم، فهو يسيرٌ في لغته وطريقة عرضه، وإن شاء الله يأنس القارئ في متابعة وريقاته.

قدَّمتُ الكتاب في تسعة فصول، بدأتها بموقع المراهق في مراحل عمر الإنسان المختلفة، مع عرض لمميزات الشباب.

ثم تحدثتُ في الفصل الثاني عن الفرصة النادرة التي لا تتكرر، والتي يتحمل المراهق مسؤوليتها بالكامل، فلا أحد يلزمه باتخاذ أي اتجاه.

وقد بدَّدتُ في الفصل الثالث الخطأ الشائع عن المراهقة بأنَّها سنٌّ للانحراف، مبيناً حقيقة انتقاله إلى مرحلة جديدة تصاحبها انفعالات نفسية طبيعية، يمكنه التعامل معها برفق وهدى إذا أدركها وفهم حقيقتها، لكنَّه سيضيع عندما لا يأخذ أحد بيده، أو لا يدرك حقيقة هذه المرحلة الانتقالية الحسَّاسة في حياته.

أمَّا الفصل الرابع فهو مخصص للعلاقات الاجتماعية مع الأهل

والمدرسة والمجتمع، وما يشوب هذه العلاقة من أخطاء في النظرة والتعامل، من المراهق مع هذه الجهات وبالعكس.

ولا شك في أهمية المصارحة حول الحلول العملية التي تصاحب تفتُّح الغريزة الجنسية عند الشباب، وهذا ما تمَّ عرضه في الفصل الخامس، حيث تُشكِّل الرؤية المطروحة عناوينَ للتعامل مع هذه الغريزة بشكل سليم في هذه المرحلة العمرية.

ثم ندخل إلى الموضوعات الحساسة حول الحب والميل إلى الجنس الآخر، وما هو صالح أو ضار في العلاقة بين الجنسين، في إطار الفصل السادس الذي يواكب الحالة العاطفية الإنسانية في عيش الحب بأبعاده المتنوعة، من دون إغفال للقواعد والشروط الصحيحة في النظرة إلى الجنس الآخر.

ومع نهاية فترة المراهقة، واكتمال عقد الشباب، لا بدَّ من اختيار الشريك، فما هي مواصفاته الأفضل لنجاح الحياة الزوجية، هذا ما يطرحه الفصل السابع.

يستهدف ما تقدَّم تحقيق السعادة في حياة الإنسان، فما هو مسارها؟ وما هي خطواتها؟ وما هي أسئلتها؟ لقد حاولت أن أقدِّم الإجابة عنها في الفصل الثامن، من موقع الشباب وبطريقة تفكيرهم، وفق المنهج الإسلامي السليم.

ورغبةً مني في الإضاءة على حشد الأسئلة الكبير الذي طُرح

في المنتدى، اخترت قسماً منها معبِّراً عن المضمون العام لهواجس وقلق الشباب من الأخوة والأخوات، وذلك في الفصل التاسع والأخير، ومع أنَّه كان بإمكاني إدراج مضامين الأسئلة في متن الكتاب، لكنَّ إبرازها يُظهر نمط التفكير ومتطلبات الشباب المعاصر، اللذان يؤكدان أهمية التسلسل الذي عرضناه في فصول الكتاب.

أنصح الشباب بقراءة هذا الكتاب بالتسلسل من الصفحة الأولى، لتنسيق الأفكار، والإجابة عن الأسئلة بشكل تدريجي وتراكمي، ولتصويب بعض المعلومات الخاطئة التي تؤثر على استنتاج الأجابات والحلول. هذا لا يعني أن اختيار بعض الفصول دون غيرها لا يحقق نفعاً، فلك أيها العزيز، أيتها العزيزة، اختيار العنوان الذي يعجبك قراءته.

٢١ جماد الأول ١٤٢٧هـ
١٨ حزيران ٢٠٠٦م

نعيم قاسم

الفصل الأول

الشباب منعطف التغيير

مراحل الحياة الإنسانية

يمرُّ الإنسان في حياته بمراحل مختلفة، تم الاصطلاح على تسميتها بالمراحل العمرية المختلفة، حيث يكون لكل مرحلة خصائصها ومميزاتها، لكنها تشكل بمجموعها شبكةً متصلة تؤثر فيها المرحلة أو المراحل السابقة باللاحقة، بحيث لا يمكن فصل المرحلة اللاحقة عن المرحلة السابقة. وقد عبَّر رب العالمين في كتابه العزيز عن هذه المراحل بإجمالٍ يبيِّن كيفية التدرج في الخلق، لأمرٍ أرادهُ الله تعالى في إعمار هذا الكون، بإيجاد الإنسان وفق هذا الترتيب وبهذه الصيغة، مفتتحاً حديثه عن يوم البعث، ليوجِّه أنظارنا إلى الحساب أولاً. فيا أيها الإنسان، عندما تراقب مراحل عمرك، انظر إلى بدايتها ونهايتها، آخذاً بعين الاعتبار المحصلة النهائية التي ترفعها أمام الله تعالى في يوم القيامة. قال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى

ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[١].

يا أيها الناس: إن كنتم تشكُّون بوجود يوم قيامة وحساب، انظروا إلى التدرج الذي أوجده الله تعالى في حياتكم، ثم تابعكم لحظة بلحظة، ونقلكم من حالة إلى حالة، وأنتم لا تملكون شيئاً مما يجري لكم من تطورٍ في خلقكم، ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، هذه المراحل الأربعة الأولى هي ما قبل الخروج من بطن الأم إلى الحياة: التراب، ثم النطفة، ثم العلقة وهي قطعة من الدم الجامد، ثم المضغة وهي القطعة من اللحم الممضوغ التي تأخذ شكلاً معيناً، فتكون مُخلَّقة واضحة المعالم، أو غير مُخلَّقة أي لم تتضح معالمها بعد. كلُّ هذه المراحل من التطور تحصل في داخل رحم المرأة، وهي تكفي لإزالة الشك والريب بإعادة الحياة في الآخرة من جديد، بعد أن بدأت حياة الإنسان من تراب لا حياة فيه، بإذن الله تعالى.

﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾، إذاً يبقى في الأرحام ما يكتب الله له الحياة، فيكون المخلوق ذكراً أو أنثى بإذن الله تعالى، حيث تتوفَّر له المواصفات والإمكانات والقدرات الفطرية التي خلقها الله تعالى، سواءً أكانت كبيرة ومهمة، أو عادية وبسيطة ومحدودة. وربما التبس على البعض في عصرنا الحاضر، موضوع قدرة الإنسان على التحكم

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

بجنس الجنين ومواصفاته، وكأنَّه خروج عن دائرة القدرة الإلهية! والصحيح: إنَّ الطبيب أسيرٌ للقوانين الإلهية التي تحدِّد مراحل الخلق، وهو يتعرف عليها ويسعى لسلوكها، فعندما يختار التلقيح الاصطناعي أو التلقيح في أوقات معينة بما يتناسب مع تكوين الذكر أو الأنثى، إنما يكون منسجماً مع خطوات ومراحل الخلق، من دون أن يتحكم بالمواصفات والقدرات الفردية الفطرية المودعة في الجينات التي يتكوَّن منها المخلوق الجديد، فهي من الأمور المعقدة جداً، والتي لم يستطع العلم الحديث إدراك كيفية مواكبتها لتغييرها أو التحكم بها أثناء مراحل النمو في داخل الرحم، ولو استطاع تعديل الجينات، فهو يتصرف بما خلقه الله تعالى من قوانين وقدرةٍ على التصرف، ولا يُوجِد شيئاً من العدم.

بعد ذلك تخرجون من الرحم إلى الحياة: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾، فتصبحون لاحقاً في عنفوان الشباب، ممتلئين بالقدرة والعزيمة والنشاط: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾. وهنا يفترق الناس بين من يموت في عنفوان شبابه بانتهاء أَجَلِهِ، ومن يُكمل حياته إلى الهرم والعجز وفقدان القدرة والإمكانات الموجودة لديه: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾.

تتابع الآية الكريمة تصويرها لحياة الأرض: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾. ربما تساءل البعض عن العلاقة بين الأرض وخلق الإنسان؟ الصورة واضحة: تكون الأرض هامدة لا حياة فيها، وهي مكوَّنة من

التراب، فإذا أنزل الله الماء عليها، تحركت واهتزت بأن دبَّت الحياة فيها، فازدادت وربت باعطاء الخضار والثمار والزرع، من أنواع النباتات المختلفة التي تضجُّ بالحياة، حيث نلاحظ ذلك من نموها المطَّرد، وبأشكالٍ جميلة وبهيجة ومتنوعة، ضمن قاعدة الزوجية التي تساهم في التكاثر، كلُّ هذا يحصل من ماء واحد، وعلى هذا التراب المنتشر على الأرض. هذه العظمة في الإيجاد من العدم، شبيهةٌ بخلق الإنسان من الماء، وفق قانون التزاوج، بإيجاد هذا التنوُّع البشري الهائل، المتفاوت في القدرات والإمكانات والأشكال ومدة الحياة.. .﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١).

إذاً نحن أمام مراحل مختلفة في حياة الإنسان، ومعنيُّون بحسن مواكبة كل مرحلة بحسب مواصفاتها ومتطلباتها. فإذا عرفناها بدقة، وعرفنا كيفية التعامل معها، حقَّقنا السعادة الحقيقية، بسبب انسجام ما نقوم به مع متطلباتها. إنَّ بإمكاننا التعرُّف على كل مرحلة واستكشاف خصائصها، وليس صحيحاً ما قاله الشاعر الحائر اليائس:

جئت لا أعلم من أين؟ ولكني أتيت!

ولقد أبصرت قدَّامي طريقاً، فمشيت!

وكأنَّ خلقَ الإنسان عبثي، وطريقَ المشي في الحياة غامض ومجهول! علماً بأن البداية واضحة والنهاية معروفة، إذا ما استرشدنا بالإسلام، وهو دين الهداية للإنسان في هذه الحياة:﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٣.

﴿ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١]. والخلقُ لم يكن عبثياً ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٢]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[٣]، بل بإرادة من الله تعالى في الخلق ليتعرفوا عليه ويعبدوه، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤]، وما وجودهم في الحياة الدنيا إلّا مؤقتٌ وعابر، أطالت المدة أم قَصُرت، ثم يكون الاستقرار النهائي في الآخرة: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[٥]. هذا الاستقرار يتخذ احدى حالتين: حالة هانئة مطمئنة ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[٦]، أو حالة منكسرة محطمة ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[٧].

ثلاث مراحل بنيوية

يمكننا الاهتمام والاعتماد على ثلاث مراحل عمرية أساسية وبنيوية، للعمل عليها من أجل مساعدة الفرد على تكوين شخصيته السَّوية. وذلك بمتابعتها وتوجيهها كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «**الولد سيدٌ سبع سنين، وعبدٌ سبع سنين، ووزيرٌ سبع**

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.
(٣) سورة الدخان، الآية: ١٣٨.
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٥) سورة غافر، الآية: ٣٩.
(٦) سورة الحاقة، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢.
(٧) سورة الحاقة، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١.

سنين، فإن رضيتَ أخلاقه لإحدى وعشرين، وإلّا فاضرب على جنبه، فقد أُعذرت إلى الله»[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعاً، والزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح، وإلّا فلا خير فيه»**[(٢)].

فبحسب التقسيم الإسلامي:

١ ـ المرحلة الأولى من الولادة إلى سبع سنوات.

٢ ـ المرحلة الثانية من سبع سنوات إلى أربع عشرة سنة.

٣ ـ المرحلة الثالثة من أربع عشرة سنة إلى إحدى وعشرين سنة، وهي مرحلة المراهقة واكتمال النضج في الشخصية.

وبحسب التقسيم المعاصر[(٣)]:

١ ـ المرحلة الأولى هي مرحلة السنين التكوينية التي تنقسم إلى قسمين: الرضاعة لسنتين، والطفولة المبكرة من ٢ ـ ٦ سنوات.

٢ ـ المرحلة الثانية هي مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة من ٦ ـ ١٢ سنة.

٣ ـ المرحلة الثالثة هي مرحلة المراهقة من ١٣ ـ ٢١ سنة، وتنقسم إلى قسمين:

---

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٢٢٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) معوض، الدكتور خليل، سيكولوجية النمو، الطفولة والمراهقة، ص: ١٠٩.

أ ـ المراهقة المبكرة من ١٣ ـ ١٦ سنة.

ب ـ المراهقة المتأخرة من ١٧ ـ ٢١ سنة.

وسنركز بحثنا على المرحلة الثالثة فقط[١]، انسجاماً مع مضمون الكتاب الذي بين أيدينا، «ولا يعني تقسيم المراحل وجود حدِّية في مواصفات كل عمر عند انطباقه التام، فمراحل النمو متَّصلة ومتداخلة، ولا يوجد بينها فواصل، ويتم الانتقال من مرحلة إلى أخرى بشكل متدرج من دون طفرات بينها. كما تتأثر حدود كل مرحلة بالبيئة الاجتماعية والظروف المعيشية والظروف المناخية، فتزداد أو تنقص أشهراً أو سنة أو أقل أو أكثر، وإنما ينفع هذا التحديد لمعرفة الفروقات الإجمالية بين هذه المراحل، وبناء عليه فزيادة سنة أو نقصانها لا يُخل بفهمها، وضبط إيقاعها، والعمل فيها، حيث تُحدِّد مراقبة تصرفات الأولاد بوضوح، عمليةَ الانتقال من مرحلة إلى أخرى»[٢].

اتجاهات المراهق

بناءً لما تقدَّم، فإنَّ التقسيم الإسلامي للمراهقة من ١٤ ـ ٢١ سنة، منسجم مع التقسيم المعاصر من ١٣ ـ ٢١ سنة.

لاحظ معي كيف يركز الإسلام على الاعتراف بشخصية المراهق، فالحديث الشريف يعتبر العلاقة المناسبة معه بأن يكون

---

(١) للاطلاع على خصائص المراحل الأخرى، يمكن مراجعة كتاب حقوق المعلم والمتعلم للمؤلف، ص: ٧٩.

(٢) كتاب حقوق المعلم والمتعلم، للمؤلف، ص: ٨٥.

وزيراً، والوزير يُسأل عن رأيه ويُستشار ويُناقش، ويُعطى مساحة من حرية الحركة والقرار، وتُراعى مكانته واحترامه أمام الآخرين، ويُشارك في الأنشطة الاجتماعية والعائلية كصاحب كيان مستقل، ويُعطى المجال لتحقيق بعض رغباته ما دامت في الإطار السليم. فالوزير مستشار وصاحب صلاحيات، فهو ليس مأموراً من الأب أو المربي بشكل دائم، ولا يُعامل كطفل عاجز عن اتخاذ بعض الخيارات، وإلّا تحطمت معنوياته أو وصل إلى التمرد لإثبات شخصيته. يدعو الإمام الصادق عليه السلام بأن «ألزمه نفسك»، أي اجعله ملازماً لك، صاحباً وصديقاً، بأن تتعامل معه كشخص راشدٍ قادرٍ على المشاركة في القرار واتخاذ المواقف، فلا تستخِف بقدراته وإمكاناته، وأعِنْهُ بالنصح والتوجيه من موقع الصحبة لا من موقع الآمرية، وبالإرشاد من موقع الصديق لا من موقع السلطة، حاول أن تقرِّب له الفكرة الأصوب، وأن تُقنعه بها ليختارها بملء إرادته، لا بالقهر والإلزام والضغط.

ففي هذه «الفترة تتكوَّن فيها معالم الشخصية المستقلة، فالولد يجنح إلى الاستقلال وإبداء الرأي والاختيار، ويرغب بأن تؤخذ وجهة نظره بعين الاعتبار، ويكره بأن يُعامل بطريقة طفولية، ويتصرف على أساس أنَّه صاحب قرار، وأنَّه يتميز بمجموعة من الصفات الخاصة والمهمة. لذا، نرى بدايةَ المصادمة مع أهله إذا لم ينسجم مع توجيهاتهم، ونزوعَه إلى التفاعل مع أصحابه وجوِّه الخاص، واختياره لأنشطة تعبِّر عن هذا المنحى، ومحاولة تقليده

للكبار باللباس أو طريقة الحديث أو الجلوس أو التدخين..إنَّ التعاطي مع هذا العمر يتطلب شكلاً من المؤاخاة مع الصبي أو البنت، وإشعارهما بخصوصيتهما والاعتراف بشخصيتهما ومتطلباتهما»[1].

هذا التوجيه متناغم مع التربية الحديثة التي تتحدث عن مرحلة المراهقة، حيث تعتبر:

« أ ـ المراهقة المبكرة من ١٣ ـ ١٦ سنة، وهي تمتد منذ بدء النمو السريع الذي يصاحب البلوغ، حتى بعد البلوغ بسنة تقريباً، عند استقرار التغيرات البيولوجية عند الفرد. وفي هذه المرحلة يسعى المراهق إلى الاستقلال، ويرغب دائماً في التخلص من القيود والسلطات التي تحيط به، ويستيقظ لدى الفرد إحساسه بذاته وكيانه، ويميل إلى الاندماج مع جماعة من الأصدقاء(الشِّلة)، وتشتدُّ منافسته مع أترابه واخوته، ويحاول أن يجذب إليه انتباه الجنس الآخر.

ب ـ المراهقة المتأخرة من ١٧ ـ ٢١ سنة، وفيها يتجه الفرد محاولاً تكييف نفسه مع المجتمع الذي يعيش فيه، ويوائم بين تلك المشاعر الجديدة وظروف البيئة ليحدد موقفه من القضايا المختلفة، محاولاً التعود على ضبط النفس، والابتعاد عن العزلة، والانضواء تحت لواء الجماعة، فتقل نزعاته الفردية، ولكن في هذه المرحلة تتبلور مشكلته في تحديد موقفه بين عالم الكبار، وتتحدد اتجاهاته

---

(١) كتاب حقوق الوالدين والولد، للمؤلف، ص:٩٣ ـ ٩٤.

إزاء الشؤون السياسية والاجتماعية وإزاء العمل الذي يسعى إليه»[١].

التربية والشباب

مرحلةُ الشباب حساسةٌ جداً، ففيها تتبلور الشخصية التي تستقر في المستقبل على نمط معيَّن، وتتبلور الأفكار والقناعات والاتجاهات الفكرية والدينية والسياسية...، ولنا حاجة ماسَّة للانتباه لما يتأصَّل اثناءها في حياة الشباب، فهي آخر مراحل التربية الفعَّالة التي يصعب بعدها إحداثُ تغييرٍ جذري وأساسي في الشخصية فيما لو أردنا تغييرها.

لنتوقف قليلاً عند قول أمير المؤمنين علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «**وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب، قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لُبُّك**»[٢].

لماذا المبادرة إلى التأديب والتوجيه والإيمان والطاعة والاستقامة؟

أ ـ «قبل أن يقسو قلبك»: دللتك على الله عز وجل، ليدخل الإيمان إلى قلبك، فتأنس بالطاعة وتنفيذ أوامر الله التي تحقق مصلحتك في هذه الدنيا وسعادتك فيها. وإلَّا فإذا انغمست في الملذات المحرَّمة، واقتربت من الأعمال المنحرفة والخاطئة، وعشت أُلفة المحرمات وأجواء اللهو والانحراف، فسيقسو قلبك،

---

(١) معوَّض، سيكولوجية النمو، ص: ٢٨٩.

(٢) نهج البلاغة، من وصية له للإمام الحسن عليه السلام، الكتاب ٣١.

وتخسر رقته ولطافته في تحريكه لضميرك، وتخسر العاطفة التي تربطك بالله تعالى، والتي تساعدك على التوبة فيما لو عصيت، وعلى العودة إلى الإيمان فيما لو أخطأت. فإذا قسا قلبك، فإنَّك تحتاج إلى جهد كبير لتجعله ليِّناً، إذ عليك أن تهدم ما تراكم في داخله، لتعمِّره من جديد بالإيمان والنور.

ب ـ وقبل أن «يشتغل لُبُّك»: عرَّفتك على الحقائق، ومعنى هذه الدنيا، وما ستكون عليه في الآخرة، كي تقبل الصحيح من الأفكار التي تُقال أمامك، وترفض الخاطئ والضَّال والمجافي للحقيقة. وإلَّا فإذا اشتغل عقلك بالأفكار الخاطئة، واعتبرتها رصيدك المعرفي في هذه الحياة، فسيكون حكمك خاطئاً على الأشياء، وستنظر إلى الأمور من منظار مشوَّش. عندها تتعبأ بأن الحياة الدنيا هي كل شيء، ولك أن تأخذ منها ما ترغبه من دون ضوابط الحلال والحرام، ومن دون الاهتمام بالعواقب والنتائج، وهذا ما يجعلك عبثياً كما هي حال الشباب في الغرب، لا تعير اهتماماً لدينك وإيمانك لأنهما غير متناغمين مع نظرتك العبثية للحياة، ولا تُحكِّم عقلك وموضوعيتك لتحاكي أصالة فطرتك في تحقيق إنسانيتك، ولا تعير اهتماماً لرقابة الله تعالى التي تساعدك على الاستقامة والتوبة، لأنَّك لا تؤمن بهذه الرقابة بشكل فعلي. فما تؤسِّس عليه أفكارك ينعكس على نظرتك للأمور، وإذا أردت تغييرها فإنك بحاجة إلى جهد كبير، لتصحح مفاهيمك الخاطئة، وتتعرف على حقائق الأمور، وتعالج الأخطاء التي ارتكبتها، وتتخلَّص من الآثار التي أحدثتها.

لا تستغرب عندما يتحدثون أمامك عن عبدة النار في بعض مجاهل أفريقيا اليوم!

ولا تستغرب وجود عبدة الأوثان والأصنام من دون الله في بعض الأماكن في الهند اليوم!

ولا تستغرب وجود الملحدين الذين لا يؤمنون بالله من شيوعيي الاتحاد السوفياتي سابقاً في هذا الزمان!

ولا تستغرب وجود الذين يرتكبون المحرمات بأبشع صورها من الإباحية والشذوذ الجنسي في الغرب اليوم وعلى مرأى من العالم، وهم يدافعون بكل وقاحة عن قناعاتهم، وقد بدأت بعض الدول بإصدار القوانين التي تحمي هذا الانحراف وتعترف به!

كل هذا وغيره، من نتائج التربية والعادات والتوجيهات التي نشأ عليها الإنسان في صغره وشبابه. وقد ذكر لنا القرآن الكريم الصعوبات التي واجهها نبي الله نوح عليه السلام مع ولده، فلم يتمكن من هدايته إلى الإيمان مع ما له من مقام عظيم وقدرة ربانيّة، لأنَّ الأجواء التي عاشها الولد وتأسَّس عليها، قد جمَّدت فكره عند القناعات المنحرفة، وحرفت قلبه للتفاعل مع الكفر والمعاصي، ولم يعد بالإمكان إحداث أي تغيير في نفسه وسلوكه بسبب سيطرة أجواء الانحراف وإحاطتها به. لذا فَقَد النبي نوح عليه السلام الأمل بإحداث أي تغيير بسيط في شخصية ولده ومجتمعه، ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾[1]،

(١) سورة نوح، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢.

فقُدوتُهم منحرفة، وتصميمهم على الفساد والإفساد مستمر، بل هم يمكرون ويخططون لتثبيت الانحراف، فقد أصبحت أجواؤهم موبوءة، وانعدمت الفرصة لأي مولود جديد بينهم أن يتنشق ريح الصلاح والاستقامة، فالبيئة الاجتماعية التي سيعيش فيها كافرةٌ بالكامل، كلُّ الرجال والنساء كذلك، هؤلاء الناس تجذَّروا في الفساد فلا أمل بتغييرهم، لذا دعا نوح ربَّه بإبادتهم لقلب هذه الصفحة القاتمة التي تُجمِّد المستقبل في دائرتها المستقرة على الانحراف، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1].

بعض شعوب العالم اليوم ليست بعيدة عن أجواء قوم نوح، ولا نضمن ألَّا يصيبنا ما أصاب ابن نوح من الانحراف، إلَّا إذا سعينا لتحصين أنفسنا واستفدنا من هذه الطاقة العظيمة التي نمتلكها في سن الشباب، والتي يمكننا توجيهها نحو صلاحنا وخيرنا.

المميزات الأربعة للشباب

١ ـ رغبة الشباب بالوصول السريع

يرغب الشباب بالوصول السريع إلى أعلى الدرجات، وتحقيق كل الأهداف دفعة واحدة. فالشاب في سن المراهقة يحلم ويخطط ويطمح، فإذا واجهته العقبات، أو شعرَ بطول المدة المطلوبة للوصول إلى أهدافه، يبادر بطريقة خاطئة، أو يسلك خيارات يندم

(١) سورة نوح، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

عليها مستقبلاً، فهو في الحقيقة سريع ومتسرِّع في آنٍ واحد، يريد أن ينتهي كل شيء بسرعة، وأن يحصل على كل شيء بسرعة!

بعض الشباب يترك الثانوية أو الجامعة مع توفر الفرصة لديه للتعلم لأنَّه يرغب بتوفُّر المال بين يديه، تسنح له فرصةٌ للعمل بأجرٍ عادي لا يتجاوز الحد الأدنى ولا يساعده على تنمية قدراته المستقبلية، فيترك الدراسة فرحاً بهذا الأجر، لقد استعجل اللحظة من دون النظر إلى المستقبل! ثم يندم بعد سنوات قليلة لأنَّه خسر فرصة التعلُّم، ولم يعد قادراً على تنمية إمكاناته وقدراته، وأن ما سعى إليه أفاده بشكل آني، وحقق رغبته المؤقتة، لكنَّه قضى على تطوره ونموه. لا تستعجل.

بعض الشباب يألفون أجواء اللهو، ويعيشون اللذة العابرة بإشارات وحركات من الجنس الآخر، ويصرفون الكثير من أوقاتهم على هذا النمط، وهم يستعجلون اللذة ولا يلتفتون إلى آثارها ونتائجها، ثم يندمون على ما خسروه من أوقاتهم وسمعتهم، بعد أن تكون نفوسهم قد تأصَّلت بعاداتٍ فاسدة لم يعودوا قادرين على تغييرها بسهولة! إحذر أيها الشاب أن تقع فريسة المتاع الزائل والمؤقت في الدنيا، واعلم أنَّ باستطاعتك الحصول على اللذة الحلال في وقتها وفي ظروف سليمة. فلا تستعجل.

شابٌ يرغب الزواج في سن مبكرة، وهو أمر مشروع، لكنْ، للزواج مقومات ومسؤوليات، فهو لا يستطيع الإنفاق على زوجته، ويعيش الإرباك بسبب الظروف التي تحيط به وتمنعه من القيام

بواجباته تجاه زوجته لخمس سنوات على الأقل بحسب تقديره، مع ذلك فإنَّه يُقدم على الزواج تحت عنوان الرزق الإلهي المقسوم، من دون أن يوفِّر ما عليه من العمل والمقدمات الصحيحة، فتبدأ المشاكل بعد سنة أو سنتين من الخطوبة، حيث لا يكون قادراً على الانتقال إلى بيت الزوجية، ولا يقبل أهل البنت التأخير أكثر من هذه المدة، وهو يعلم ذلك! ما الذي سيضيع منه؟ ليكن واثقاً بأنَّه سيحصل على نصيبه في الوقت المناسب، وليوفر المقدمات الضرورية بحسب علمه وقدرته، ثم يتوكل على الله تعالى. فلا داعي للعجلة.

البنت في أول شبابها ترغب الارتباط بشاب من خلال الزواج، ولا تدقِّق غالباً في مواصفات من يتقدم إليها، فقد تنجذب لصفةٍ فيه، وتنزعج من والدها عندما يسأل عن البيت والنفقة ومدة الخطوبة، فهي تريد أن تتجاوز كل هذه الأمور، كما تنزعج من والدها عندما يسأل عن شخصية الزوج ومواصفاته الشخصية والدينية والأخلاقية، فكلامُ الشاب جميلٌ وشكلُه مقبول، والظاهر أنه جيدٌ ولائق، لكنْ، هل يمكن الاكتفاء بالحكم على ظاهره من خلال جلسات معدودة من دون الاستفسار والاطلاع على حقيقته؟

عندما ربط الإسلام زواج البكر بموافقتها وموافقة وليِّها، إنما أراد أن يحميها بعدم الانجرار وراء عاطفتها الوقَّادة التي تتأثر بالكلمة الحلوة، أرادها أن تناقش مع والدها حيثيات القبول أو الرفض من خلال النقاش والحوار، أي بلغة العقل وليس بلغة العاطفة فقط.من

حقِّك أن تختاري، وأن تملئي عاطفتك بمن تجدين فيه فارس أحلام المستقبل، لكن هل عرفتِ صفاته جيداً؟ وهل اطمأننتِ إلى قدرته على حمايتك؟ وهل تأكدتِ من رغبته الأكيدة في بناء حياة زوجية متكافئة؟ وهل هو الكفء في الدين والأخلاق بالنسبة إليك؟ لا تستعجلي.

٢ ـ الشبابُ دعامة المستقبل

مرحلةُ الشباب مرحلةٌ تأسيسية، فإذا كان التأسيس متيناً وصلباً ومتوازناً ومدروساً، تحققتْ الأهداف في المستقبل بثبات وفعالية ونجاح، فما تزرعه اليوم تحصده غداً. مدَّ بصرك إلى المستقبل واسأل نفسك عما ستؤول إليه خطواتك التي ستتخذها الآن. إذا خطوت هذه الخطوة فما الذي سيحصل لك؟ ما الذي ستحققه؟ وهل أنت راضٍ عما يمكن أن تنجزه بحسب خيارك؟ إذا كان الجواب نعم فتوكَّل على الله تعالى، وقُم بما تريد، فإن شاء الله تصل إلى أهدافك. وإذا كان الجواب لا فلا تبدأ. وإذا كانت الأمور غامضة ومشوشَّة فاستشر أصحاب الخبرة، وتمهَّل قبل اتخاذ القرار.لا أتحدث هنا عن طبيعة الأمر الصواب، وإنما عن تأثير خيار الشباب على مستقبلهم.

٣ ـ الشباب شعبة من الجنون

ورد عن رسول الله ﷺ: «**الشبابُ شعبةٌ من الجنون**»(١).

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص: ٣٧٧.

المقصود بالجنون الحيوية الكبيرة، فالشباب شعبةٌ من الحيوية والنشاط والثورة والحركة الدؤوبة، فكل شيء يهون بنظر الشاب، الذي يقتحم المصاعب بكل جرأة، بل وبتهور في كثير من الأحيان. فانظر الى أي مدى تؤدي بك حيويتك أيها الشاب، ولا تغترَّ بقدرتك وطاقتك الجامحة، فالمهم كيف تتصرف بها؟ ومتى تستفيد منها؟ وإلى أي هدف توصلها؟.

انتبه! فكلٌّ شيء لديك مفعمٌ بالحيوية. الغريزة تتأجج في هذه السن، والآمال المتنوعة تزداد لديك، وثقتك بنفسك تكبُر، فلا تنجرف باتجاه غرائزك ومشاعرك ورغباتك. دع عقلك يقول كلمته، ولا تندفع بقدراتك، فالخبرة تنقصك، ومعرفتك محدودة، وإلمامك بالأمور ليس كافياً ليكون حكمك صائباً، وما تراه لا يمثِّل كل الحقيقة... هدِّئ من روعك، واستكمل جوانب الموضوع، وتأمَّل قبل اتخاذ قرارك، واعتِبرْ من تجارب الآخرين، إنَّه لن يضيع عليك شيء، فلكل شيء أوان.

٤ ـ الفرص العديدة والمفتوحة

وسِّع من خياراتك، فلا زالت الفرص عديدة ومتاحة أمامك، لا تحشر نفسك في زاويةٍ واحدة، أو فكرةٍ واحدة، أو خيارٍ واحد. اختر من عملك ما تعتقده الأفضل، واختر من دراستك ما تعتقده الأنجح، واختر من أدائك ما تعتبره الأصوب، واختر دوراً يجعلك مؤثراً ومفيداً لمجتمعك في مسيرة حياتك. أسلك درب الجهاد لتحقق ما

تريد ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾[1]، جاهد نفسك التي بين جنبيك لتنتصر على شيطانك وتُحسن اختيار الطريق، جاهد عدوك لتحرِّر أرضك فتكون بذلك قد ساهمت في تقوية أمتك، جاهد كسلك كي تقوى على الفعل الإيجابي والمنتج في الحياة، جاهد جهلك وتعلَّم لتتبصَّر طريق الهدى، جاهد رغباتك لتتوازن مع روحك وتعيش حالة التكامل... فكِّر كيف تستخدم طاقاتك في الخيارات المختلفة، ضمن منهجية واضحة وسليمة، وبأداء مُوجَّه ومستقيم، ثم ضع نصب عينيك طاعة الله، وأن يكون عملك في سبيل الله، لتحقيق رضوانه عليك، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[2].

هل لا زلت معي؟ لاحظ هذه المميزات الأربعة، وتذكرها مجدداً:

١ ـ رغبة الشباب بالوصول السريع إلى أعلى الدرجات.

٢ ـ الشباب دعامة المستقبل.

٣ ـ الشباب شعبة من الجنون.

٤ ـ وسِّع من خياراتك، فالفرص عديدة ومفتوحة أمامك.

كل المميزات تتمحور حول تلك الطاقة الحيوية التي قد ترفعك إلى أعلى الدرجات، وقد تؤدي بك إلى الهاوية، وذلك بحسب اختيارك، فاعرف ماذا تختار؟

---

(١) سورة الحج، من الآية: ٧٨.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

الفصل الثاني

الفرصة النادرة

هي فرصةٌ نادرة أن يعيش الإنسان في هذه الدنيا، لأنَّها مرة واحدة غير قابلة للتكرار، فمن استغلَّها واستفاد منها فاز وربح. ولعلَّ المشكلة الأساس، أنَّنا في كثير من الحالات، لا نعرف من نحن ! ولا ما يُصلح شأننا في الدنيا! ولا نعرف حقيقة تكويننا، وطبيعة أشخاصنا، والقواعد التي خلقنا الله تعالى عليها! لذا نعيش في حيرة، ونخطئ في خياراتنا، ونكتشف الثغرات والمساوئ بعد تجارب كثيرة، وخسارةِ فترةٍ طويلة من حياتنا.

الانطلاقة السليمة والمطمئنة تقتضي البحث عن طبيعة تكوين الإنسان، وعوامل وصوله إلى مرحلة الثبات والاستقرار، وكيفية امتلاكه لمقومات السعادة الحقيقية، وماهية القدرات الكامنة في داخله، وإمكانية تصرفه بها، وكيفية تسخيره لهذه القدرات في إطار انعكاسها الإيجابي على حياته. وهل من عوائق تحدُّ من قدرته فتكشف عجزه عن بعض الأمور، أو تلزمه وتقيِّده بما يستدعي منه التكيُّف معها؟

ينمو جسد الإنسان وشخصيته ضمن مسارٍ طبيعي أوجده الله تعالى، وما يفرح به الأهل، ويعيشون معه الأطوار المختلفة لنمو

طفلهم، هو النمو الطبيعي لكل الأولاد. فالأهل ينظرون إلى مشي الطفل عند بلوغه عاماً أو عامين، ونطقه، واستخدام يديه باتزان... كإنجازاتٍ مهمة، وقد أودع الله تعالى في نفوس الأهل هذا الاستئناس والتفاعل عند ملاحظة النمو التدريجي للطفل، واكتسابه خصائص القدرات المختلفة بحسب عمره، لكنَّه القانون الإلهي الذي يسري على البشرية، في الخلق والنمو، ثم الفناء.

فإذا وجدتَ نفسك أيها الشاب، أيتها الشابة، تتميز بعنفوان الشباب وحيويته، وتمتلك القدرات المختلفة، فتذكَّر أنها من خلق الله تعالى، وأنك لولا إرادته لم تكن، وأن ما تتميز به من مواصفات هي من عطاءاته ونِعَمه ورحمته بك، وهي مميزات تتكرر فيمن خلق الله تعالى من البشر، فلا تنسب هذه القدرات إلى نفسك، ولا تغترَّ بها، ولا تعتقد فرادتك عن كل الناس، فأنت مخلوقٌ وهم مخلوقون، ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

أتت التكاليف الإلهية في الحلال والحرام منسجمة مع المقومات والإمكانات التي أودعها الله تعالى في الإنسان، وهي متناغمة مع قدرته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾[3]،

---

(١) سورة لقمان، الآية : ١١.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦.

فإذا أردنا التعامل السليم مع الشاب في تربيته وتوجيهه ومساءلته، علينا أن نتعرَّف على قدراته وإمكاناته التي يتحمل مسؤوليتها، لنحاسبه عليها، ونتجنَّب مساءلته فيما يكون خارجاً عن إرادته وقدرته.

من الأخطاء الشائعة بسبب الجهل بالإمكانات المتوفرة لدى الإنسان، ما كان يفعله بعض الآباء والأمهات مع أبنائهم عندما لا يأكلون أو يشربون أو يكتبون باليد اليمنى، رغبةً منهم في تطبيق الحديث الشريف في استحباب استخدام اليمين وكراهة استخدام اليد اليسرى، لقولهﷺ: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإنَّ الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله**»[1]. وقد فاتهم أنَّ استحباب استخدام اليمين وكراهة استخدام الشمال مرتبط بالقدرة، كما هي كل التكاليف فإنَّها مرتبطة بالقدرة، فإذا كان الولد عاجزاً عن ذلك فهو معذور، وقد ثبت علمياً أنَّ عدداً من الأولاد يتلقون أوامرهم من الجهة اليمنى من الدماغ، وهو ما يؤدي عادة إلى تحريك اليد اليسرى بفعالية، بخلاف الذين يتلقون أوامرهم من الجهة اليسرى من الدماغ، فإنهم يحركون اليد اليمنى بفعالية، ما يعني بأن العجز عند البعض من استخدام اليد اليمنى أمرٌ تكويني، لا يتحمل الفرد مسؤوليته لأنَّه خارج عن قدرته، وبالتالي لا يُحاسب عليه. فلو أدرك الأهل من بداية الأمر هذا

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٧، ص: ٢٤.

الاحتمال، وتابعوا إمكانية انطباقه على ولدهم، لما أرهقوا أنفسهم، وعذَّبوا ولدهم، بأشكالٍ مختلفة من الضغوطات، ليمسك لقمته أو ملعقته أو قلمه باليد اليمنى، لأنَّه معذور، ولا تكليفَ بغير المقدور.

ومن الأخطاء الشائعة نسبةُ أفعال الولد وصفاته السلبية الشخصية إلى أحد أقربائه، إمَّا لشبهه في خلقته، وإمَّا لقرابته به كالخال والعم. علماً بأن الصفات الشخصية في الشكل والمقومات تكون بالوراثة، لكنَّ السلوك وطريقة التصرف تنتجان عن التربية، فإذا صادف التشابه بين الصفات الشخصية والسلوك بين الولد وعمه، فلأنه خضع للأجواء التربوية نفسها. فالشاب مسؤول عن تصرفاته، سواءً أكانت شبيهة بتصرفات عمه أو كانت مختلفة عنها، وسواءً أكان يشبه عمه في خلقته أو كان يختلف عنه، فلا علاقة للتشابه التكويني الخارج عن إرادة الإنسان في الشكل واللون والقدرة والذكورة أو الأنوثة... بالسلوك الذي ينطلق فيه الإنسان بملء إرادته، وعن تصميمٍ يتحمَّل مسؤوليته.

١ ـ النمو والفروقات عند المراهقين

عندما يناقش البعض سن المراهقة عند الشباب، يعتبرونها مرحلة استثنائية لا ضوابط لها، فالمراهقة تعني ـ بنظرهم ـ الغوغائية والعشوائية، وغلبة التصرف بلا تفكير، وثورة الجنس التي لا يمكن ضبطها أو وضع حدود لها، وكثرة التعثر وارتكاب الأخطاء، والتمرد

على كل شيء...وهذا من الأخطاء الشائعة أيضاً.

«وقد تكون بعض الآراء أو الدراسات قد بالغت كثيراً في النظر إلى المراهقة باعتبارها فترة اضطراب تؤثر على المراهقين، وعلى أسرهم ومجتمعهم، خلال هذه الفترة، إلَّا أن المتفق عليه حتى الآن أن هذه المرحلة من النمو تمثل مرحلة صعبة إلى حدٍ ما، وهي مرحلة شدٍّ أو جذب للمراهق، والسبب في ذلك أن المراهق يتعامل مع عدة تغيرات تطرأ عليه: جسمية، وجنسية، ونفسية، ومعرفية. وعليه أن يتوافق مع هذه التغيرات دون أن تتوافر في الغالب الخبرة والمعرفة اللازمتين لعملية التوافق السليم، لذلك نجده يتعثر أحياناً في سلوكه، وفي علاقاته الاجتماعية، وفي مدركاته...ويكون أحوج ما يكون للتوجيه والإرشاد وتقديم النصح والمساعدة»[١].

فمع التوجيه والإرشاد وحسن المواكبة، يمكننا التوصل إلى شخصية المراهق الموزون، الذي تكثر إيجابياته وتقل سلبياته، والذي يتصرف بحكمة، مستفيداً من خبرة الآخرين الذين يثق بهم، ونحن نجد في كل المجتمعات شباباً متهوراً عديم المسؤولية، وشباباً متزناً يتحمل المسؤولية. هل الفرق بين النموذجين إلَّا ثمرة المتابعة والتربية؟ فالمراهق تكويناً في مرحلة نضج ونموٍ استثنائية وسريعة التغير، لكننا لو أدركنا كيفية التعاطي معها لاستثمرناها في الإطار الإيجابي، واستفدنا من تلك الطاقة الحيوية التي يمتلكها

(١) الزراد، الدكتور فيصل، مشكلات المراهقة والشباب، ص:١٦ و١٧.

الشاب في الخير والبناء، فالمقومات الموجودة لديه لا تعني الوصول إلى النتيجة السلبية، بل هي إمكانات تعطينا نتائجها بحسب التعامل معها، ككلٍّ إمكانيةٍ فطرية موجودة لدى الإنسان.

الحديث عن المراهقة يعني التشابه في الإطار العام، الذي يتجسد بالنمو السريع ومرحلة البلوغ وحصول بعض التغيرات الجسدية والنفسية والعقلية، التي تنقل الولد من الطفولة إلى الشباب والمسؤولية. ولا تعني التشابه التفصيلي بين الأفراد، فقد خلق الله الناس بوجود الفروقات الفردية بينهم، وهذا أصلٌ ثابت في خلق الله للإنسان في هذا الكون. إذ لا إعمار ولا حضارة ولا تقدم للبشرية مع التشابه الكامل بين الأفراد في كل شيء، أمَّا مع التمايز فالبشر يتكاملون مع بعضهم بعضاً، وتتعزَّز التبادلية بينهم في الحاجات والمصالح، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

لاحظ معي هذه الآية الكريمة، فالله تعالى هو الذي يوزع الرحمة على العباد، أي القدرات والإمكانات والأرزاق والنعم، ولا يكون التوزيع متشابهاً بل متفاوتاً، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾، فهذا فقير وذاك غني، هذا قوي وذاك ضعيف...، وإنما جعل الله تعالى هذا التوزيع المتمايز، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾،

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

الذي يؤدي إلى اختلاف القدرات وهي درجات الدنيا، التي لا علاقة لها بالقيمة عند الله تعالى ودرجات الآخرة المرتبطة بالعمل والتقوى، وذلك:

أ ـ لإرادته في إعمار الكون، ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[(١)]، فكل واحد مسخرٌ لآخرين يخدمهم ويساعدهم، والآخرون يخدمونه ويساعدونه، في علاقة تبادلية لا يستغني فيها الناس عن بعضهم بعضاً، فالخبَّاز مسخَّرٌ ليطعم الناس الخبز، والطبيب مسخَّرٌ ليعالج المرضى، والمعلم مسخَّرٌ ليعلم الأولاد...

ب ـ وعدله المتجسد في الحساب على السلوك ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[(٢)]. فقد يكون الأتقى في تقييم الآخرة هو الأفقر والأضعف، ويكون الأشقى هو الأغنى والأقدر، إذ إنَّ مقاييس الآخرة مختلفة عن مقاييس ومراتب الدنيا وتصنيفات الناس فيها. فدرجات الدنيا ميزانُ اختلاف القدرات الممنوحة من الله تعالى للاختبار، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٣)]، ودرجات الآخرة تقييمٌ للأعمال التي اجترحها الإنسان باختياره في الدنيا، حيث يرتقي مع الإحسان، ويهوي مع الإساءة. فالعمل هو المقياس، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[(٤)].

(١) سورة الزخرف، من الآية: ٣٢.
(٢) سورة الحجرات، من الآية: ١٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.
(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٩.

٢ ـ تأثير الفروقات الفردية

لكنْ، هل تؤثر الفروقات الفردية في الإيمان أو عدمه؟ هل يكون الأذكى مؤمناً والأقل ذكاءً كافراً أو العكس؟ هل يكون القوي مؤمناً والضعيف كافراً أو العكس؟ هل يؤثر الطول أو اللون أو العِرق أو وطن المنشأ في حسم الاتجاه الإيماني أو الكافر بطريقة قهرية لا إرادية؟!

الجواب: لا، فالفروقات لا تؤثر في إعمار الكون وتوزيع الأدوار، وليست سبباً للإيمان أو عدمه. الإنسان هو الذي يختار طريق الإيمان أو الكفر، والسلوك المستقيم أو المنحرف، بملء إرادته، وقد أودع الله تعالى فيه هذه القدرة بالتكوين، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[(١)]، بل صرَّح ربُّ العالمين بإرادته في عدم الإلزام بالإيمان: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[(٢)]، وعلى هذا الأساس تقع مسؤولية الاختيار بالكامل على عاتق الإنسان: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[(٣)].

٣ ـ السلوك اختيار إرادي

الإنسان هو الذي يختار خطَّ سيره، ويشكِّل قناعاته، ويحدد سلوكه، ويقوم بالأعمال التي يراها مناسبة، في مراحل حياته

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الكهف، من الآية: ٢٩.

المختلفة، أكان شاباً أم كبيراً أم كهلاً، ما دامت لديه مقومات القدرة، وهو مسؤول عن أعماله ابتداءً من سن التكليف. أمَّا أن يعتبر نفسه مندفعاً نحو غرائزه برغبة جامحة لا يقوى على التصدي لها، فللأمر علاقةٌ بخطأ خياره، وعدم قيامه بما يلزم لتقوية إرادته وتحصين نفسه، وسوء اختياره للأجواء التي يتفاعل معها ويتأثر بها من الصحبة والأماكن التي يرتادها، وكيفية ملئه لوقت فراغه...

في سن البلوغ، تتغير العوامل الجسدية والنفسية عند الفرد إيذاناً بالانتقال إلى مرحلة جديدة من مراحل العمر، وهي أشد المراحل حيوية وأسرعها نمواً، لكنَّ الاستقامة أو الانحراف فيها يرتبطان بكيفية تعاطي الشاب مع هذه المرحلة. ما هي نظرته إليها؟ ما هي الأجواء التي تحيط به أثناء بلوغها؟ ما الذي يوجِّه مشاعره ورغباته؟ كيف يتعامل مع الحيوية التي يتميز بها وأين يوجهها؟

إذا استقبل الشاب مرحلة البلوغ بأجواء اللهو والفساد، وارتياد أماكن الانحراف، ومعاشرة صحبة السوء، وأطلق العنان لرغباته الجسدية من دون ضوابط أو حساب، واستهتر بالحيوية التي أنعم الله تعالى بها عليه، فمن الطبيعي أن ينحرف وينجرف ويرتكب المحرمات ويضيِّع طاقته في المنكرات.

أمَّا إذا تعامل الشاب مع مرحلة البلوغ كقوةٍ وطاقةٍ لاستغلالها في الخير، وانتبه إلى مزالق الشهوة، وصبر أمام مظاهر الانحراف التي تحيط به في المجتمع، وعمل على تعزيز علاقته بالله تعالى،

واستمد قوة مواجهة وسوسات الشيطان من صلاته وصومه، واختار أصحابه من المستقيمين، وحدَّد خياره بتنفيذ أوامر الله تعالى ونواهيه، وصرف وقته في العلم والرياضة والجهاد والتربية، وهيَّأ ظروفه لحاجاته الجسدية وفق برنامج يمهد للزواج في السن المناسبة والظروف المناسبة، وابتعد عن كل ما يثير الشهوة من الاختلاط بالجنس الآخر، والأفلام الإباحية، والفراغ القاتل، يستطيع أن يقطع هذه المرحلة بالاستفادة منها لمصلحة بناء مستقبله.

التجاربُ كثيرة في مجتمعنا، والنماذج متباينة بشكل واضح. فهذا شاب نشأ في طاعة الله، وشارك في جهاد العدو، وتميَّز بالأخلاق الفاضلة، وبرز في مجتمعه كشخصيةٍ محترمة تتقدم باستمرار نحو الأمام. وذاك شاب انغمس في شهواته، وعاقر الخمر، وابتلي بالمنكرات والشخصية السيئة، وخسر هذه المرحلة الهامة من بناء مستقبله. كلاهما موجود في المجتمع، وما بينهما ممن يحمل الخصائص المتفاوتة، حيث يمر بعض الشباب بزلَّات ثم يستقيمون، وتختلط عند البعض الآخر مفاهيم الحلال والحرام، والصواب والخطأ، وهكذا... فالفروقات ليست سبباً للطاعة أو المعصية، ولا يكون الشباب سبباً حتمياً للانحراف والفوضى واللامسؤولية، بل هو اختيار الإنسان بالكامل الذي يتحمل مسؤوليته كمكلف واعٍ قادرٍ على تحديد مساره، حيث نجد شاباً صالحاً وآخر فاسداً، ونجد قوياً مؤمناً وآخر كافراً، وفقيراً مستقيماً وآخر منحرفاً، فالفروقات الفردية اختلاف في القدرات والإمكانات، لا علاقة لها بالصلاح والفساد.

قرأت في إحدى الصحف عن بعض علماء الأجنة في الغرب، أنهم يحاولون الترويج لوجود جينات تدفع إلى الشذوذ الجنسي بطريقة تكوينية لا إرادية، وذلك لتبرير الزواج المثلي وكل أنواع الانحراف الجنسي، كي يبرروا مسار الغرب في انحرافه المادي والأخلاقي بحجة الطبيعة التكوينية القاهرة، عندها لا يكون الشذوذ الجنسي انحرافاً بل أمراً طبيعياً لا يتحمل الإنسان أي مسؤولية سلبية فيه! هذه جريمةٌ بحق الإنسانية، لأنها قلبٌ للمفاهيم، وتحويل المنكر إلى معروف والمعروف إلى منكر، لتتحول ـ من وجهة نظرهم ـ الاستقامة إلى إدانة، والانحراف إلى احترام وتقدير! هذا منسجمٌ مع ماديتهم وابتعادهم عن رسالة السماء، وهم يريدون صياغة النظريات التي تدعم وجهة نظرهم، بتقديم دراساتٍ خاطئة وهادفة، ليقودوا البشرية نحو الانحراف! ومع أنَّه لا دليل علمياً عليها، بل الدليل على خلافها، فإنَّ وضع النظرية التي تحتاج إلى إثبات قيد التداول، يُوجِد منفذاً لجعلها احتمالاً يحتمي به الشاذون ودعاة الشذوذ لتبرير أعمالهم. وقد ثبت عبر التاريخ صراع الاستقامة مع الانحراف بناء على الاختيار والقناعة، وإلَّا كيف نفسِّر الاستقامة عبر التاريخ وفي عصرنا الحالي، في مناطقنا بل وفي بلدان الغرب، أليست خياراً أوصل إليها، في مقابل الانحراف الذي كان موجوداً عبر التاريخ ولا زال كخيار أيضاً؟

حدَّثنا القرآن الكريم عن الانحراف عند قوم لوط، والذي انطلق من اختيارهم وتصميمهم على رفض منهج الطهارة، وقد انتشر هذا

الاختيار بينهم بشكل واسع حتى عمَّهم تقريباً، حيث وقفوا الموقف العادي للمتطهرين الذين يخالفونهم في السلوك من آل لوط: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1]، ولم يكتف لوط عليه السلام بنصيحتهم، بل عرض عليهم بناته في إطار الزواج المشروع بدل الاتجاه الشاذ الذي يسلكونه، فرفضوا مؤكدين على رغباتهم المنحرفة، قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[2].

إنَّ الاختيار عبر التاريخ وفي الحاضر والمستقبل أمرٌ إرادي، يتمايز الناس في حسمه، وهذا منسجم مع ما أودع الله تعالى في الإنسان من حرية الاختيار بكل إرادة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[3].

٤ ـ القدرة والنصيب

إنَّ طبيعة السلوك الاختياري لا تعني قدرة الإنسان على فعل ما

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٨٠ ـ ٨٢.
(٢) سورة هود، الآيتان: ٧٨ ـ ٧٩.
(٣) سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠.

يشاء، أو أن يحقق كل رغباته، فهو محدودٌ ومقيدٌ بما أحاطه الله به من مقومات وقدرات، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(١). وعليه أن يكون واقعياً وعاقلاً في خياراته، فلا يندفع مستسلماً لأهوائه لما يترتب على ذلك من نتائج وعواقب، ولا يجمِّد حركته عن معالجة متطلباته وشؤونه وإلَّا عانى وتحمل المشقات بعدم مبادرته إلى العمل. كما عليه أن يكون قنوعاً ومتوكلاً على الله تعالى، فيسعى بحسب قدرته بعد أن يهيء كل الظروف المناسبة والموضوعية، فيكون مستعداً لتقبُّل النتائج والتعامل معها بحسبها إذ بيده أن يسعى، وليس بيده أن يكون موفقاً.

على المرء أن يسعى بمقدار جهده   وليس عليه أن يكون موفقا

هل يتوقع الإنسان أن يتجاوز قدرته؟ وهل يمكن أن يحصل على أكثر من نصيبه ورزقه في هذه الحياة الدنيا؟ كم من محاولات قام بها شابٌ لتحقيق هدفٍ يرغبه على الصعيد المعيشي أو العاطفي أو الجامعي وفشل، لقد سعى بمقدار جهده، لكنَّ شروط النجاح الظاهرة والخفية غير مكتملة بالنسبة إليه، وبما أنَّه سعى فليتقبَّل النتيجة، وليسعَ لخيارات أخرى، أو فليكرر المحاولة إذا كانت ممكنة، ولكن مهما كانت النتيجة فإنَّها لا تخرج عن أمرين: مسؤوليته في الاختيار، ونصيبه فيما قدَّره الله تعالى له، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(١). فإذا كان اختياره اختياراً حسناً فقد أُعذر، وإذا كان سيئاً فهو مدان، أمَّا النتيجة فلا يمكن دفعها، فليستثمرها إذا كانت جيدة، وليتوقاها إذا كانت سيئة، وليتب إلى الله تعالى ويستغفره إن أخطأ، ويرجوه جلَّ وعلا أن يعطيه الأفضل والأصلح.

٥ ـ الوسوسة تزيين وترغيب

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾(٢). فما معنى الوسوسة؟ ومن الذين يوسوسون؟ وهل الوسوسة سلبٌ للإرادة؟ وما تأثير الاستعانة والاستعاذة بالله تعالى؟

الوسوسة خاطرة وفكرة، يطرحها شخص ويزِّينها ويبيِّن محاسنها، كأن يزيِّن الصديق العلاقة المحرَّمة أو السرقة أو الاعتداء... وقد تأتي الخاطرة أو الفكرة بطريقة ذاتية أثناء استعراض المرء في ذهنه للأفكار التي يريد الاختيار بينها، والتي تتولد عادة من المحيط الاجتماعي والتربية والثقافة. فالفكرة من الناس تكون بطريق مباشر، ومن الخاطرة الذهنية التي تُنسب إلى الجن غير المرئي أو لعوامل أخرى يكون طريقها غير مباشر، لكنها لا تتحول في أي حال من الأحوال إلى دافع إلزامي، بل هي فكرةٌ تلح على الإنسان من مجموعة أفكار ليختار بينها.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) سورة الناس.

هنا تأتي الاستعانة والاستعاذة بالله تعالى لتقوية الإرادة وتصحيح المسار، فعندما يختار الإنسان منهج الله تعالى، ويربط مشاعره بنداء الله تعالى ودعائه ليعينه على حسن الاختيار، فهو يُغلِّب الفكرة المستقيمة على الأفكار غير المستقيمة، ويُحسِّن موقعها في نفسه فيتجه إلى اختيارها، وإلى ما أمر الله به، وهو صلاحه ومصلحته، وبذلك ينجح في دفع الوسوسات والزينة والإغراء لمصلحة الصلاح والاستقامة. فلا تشكِّل الوسوسة سوى مفردة من سلة من الخيارات قبل أن يحسم الإنسان موقفه.

٦ ـ النفس الأمارة بالسوء

إذا كانت الوسوسة ايحاءً يمكن تجنبه، فهل يمكن تجاوز النفس الأمارة بالسوء التي تتحرك من داخل الإنسان؟ ألا تؤكد الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[١]، بأن لا خلاص من الأمر بالسوء إلَّا بتدخلٍ إلهي، ما يعني رفع المسؤولية عن الإنسان الذي تدفعه فطرته إلى فعل الحرام واتباع الشهوات؟!

يبدو أننا بحاجة لاستعادة معرفتنا بحقيقة النفس الإنسانية، فهي نفسٌ مخيَّرة غير مجبرة على شيء، وبإمكانها أن تسمو بالطاعة لله تعالى، أو أن تهوي بالمعاصي والملذات، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن

---

(١) سورة يوسف، الآية : ٥٣.

دَسَّىٰهَا﴾[١]، فالخلق واحدٌ لجميع البشر، ومقوماتُ النفس الإنسانية كما فطرها الله تعالى مبنيةٌ على الاختيار، فلقد سوَّاها جلَّ وعلا لتحمل قابلية التقوى والفجور، ثم يتحمَّل كل فرد بشكل مستقل عن غيره مسؤولية السلوك نحو التقوى أوالفجور.

ذكر لنا القرآن الكريم قصة صمود النبي يوسف عليه السلام أمام إغراء امرأة العزيز، وفصَّل في إظهار الموقف الصعب ليوسف عليه السلام، بين الاستجابة للهوى ونعيم القصور، أو مخالفة الهوى وجحيم السجون، فآثر مخالفة الهوى، بانتصاره على قابلية الفجور واستجابته لقابلية التقوى. وقد عبَّر يوسف عليه السلام عن طبيعته الإنسانية بقوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، فأنا لا أختلف عن البشر في قابلية نفسي وفطرتي التي تدعوني إلى السوء واتباع الهوى، ولكني لست متروكاً لصراعي مع نفسي الأمارة بالسوء من دون حماية، بسبب قابلية هذه النفس للأمر بالخير والدعوة إليه، وهو ما يُفهم من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾، فمن غلَّب الخير على الشر بملء إرادته من دون إجبار أو إكراه، فأطاع مولاه وخالف هواه، استفاد من رحمة الله تعالى بما أودعه من خيرٍ في نفسه الإنسانية، منتصراً بذلك على الاتجاه الآخر الذي يحمل عنوان الأمر بالسوء. وما ينطبق على النبي يوسف عليه السلام في عملية الاختيار ينطبق على جميع البشر، فمن اتَّبع هواه لم يستفد من الرحمة التي أودعها

---

(١) سورة الشمس، الآيات : ٧ ـ ١٠.

الله تعالى في فطرته، أمَّا من خالف هواه فقد استفاد من رحمة الله تعالى بعدم اتباع الأمر بالسوء.

لا تقتصر الرحمة الإلهية على ما أودعه الله تعالى في الفطرة الإنسانية من بذور الخير، بل تتعداها إلى كل حياة الإنسان، بما أحاطه الله فيها من هداية الرسل والأنبياء، وأنعم عليه، ودفع عنه بلاءات كثيرة، وأمهله وقَبِلَ توبته، وغير ذلك. فالرحمة محيطة بالإنسان من مصدرين كبيرين: داخلي وهو الفطرة، وخارجي وهو الهداية وكلُّ عطاءات الله تعالى التي ينطبق عليها عنوان الرحمة في حياة الإنسان. ومع ذلك فإنَّ الله جلَّ وعلا لا يترك عبده عندما يتعثر ويخطئ، فيعطيه الفرصة للتوبة، ويمنحه المغفرة، التي تغسل ما علق من أدران المعاصي في صحيفته، كي يبدأ من جديد غير مثقلٍ بالمعاصي والذنوب، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٧ ـ تقويم الذات

وعيُ الذات ووعي مقوماتها، يساعد الإنسان في معرفة كيفية التعاطي مع نفسه في هذه الحياة الدنيا، ومن الطبيعي أن ينجح الإنسان نتيجة هذه المعرفة، لكن إذا لم يعرف نفسه ولم يعرف مقوماتها فإنه سيسير على غير هدى.

عندما يريد الطبيب معالجة المريض يبدأ بتشخيص الداء، وتشخيصه للداء يكون من خلال معرفة وظائف الجسد، كيف يعمل هذا الجسد، وما هي خصائصه؟ وإلَّا إذا لم يكن على علمٍ بكيفية

تكوين هذا الجسد، فإنه يخطئ كثيراً في الوصفات أو في الأدوية أو في كيفية معالجة هذا الجسد. لا بدَّ للإنسان أيضاً أن يعرف ذاته، حتى يتمكن من معالجتها ومواجهة مشاكلها، أمَّا إذا كان جاهلاً بنفسه، غير خبير بما تعيشه هذه النفس الإنسانية، فإنه سيعيش الضياع حتماً في هذه الحياة الدنيا. وفي الرواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[١]، لماذا؟ لأنه إذا عرف نفسه وأدرك خصائصها، وأتقن معرفة تفاصيل وضعيتها، هذا يعني أنه فهم طبيعة خلق الله تعالى له في هذه الحياة الدنيا، وهي مقدمة ومدخل للوصول إلى معرفة الله تعالى، وإلى إدراك توجيهات الله جلَّ وعلا المنسجمة مع متطلبات وصفات الإنسان المخلوق.

قال تعالى في كتابه الكريم عندما تحدث مع الملائكة بأنه سيخلق آدم عليه السلام على وجه الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، فلنفترض أنفسنا حاضرين في اللحظة التي تحدث فيها الله تعالى عن خلق آدم عليه السلام، والمخاطبون هم الملائكة أصحاب الخبرة والمعرفة الذين استفهموا وسألوا، هل ستخلق يا ربنا من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ تحدَّث المفسرون عن احتمالين في تفسير هذه الآية:

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٣٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

الاحتمال الأول: أن يكون الملائكة قد اطَّلعوا على حياة لآدم قبل آدم هذا، ورأوا أن البشر يفسدون ويسيئون ويقتلون، فقالوا لرب العالمين: أتخلق واحداً مثل هؤلاء الذين خلقت من قبل من الذين يفسقون ويقتلون... بينما نحن نعبدك ولا نعصيك؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون، فأنا أعرف لماذا خلقت الحياة الدنيا، ولماذا خلقت آدم. هذا الاحتمال مبنيٌ على تجربة للملائكة يتكلمون عنها، مستندة إلى وجود للبشر قبل آدم عليه السلام.

الاحتمال الثاني: أن يكون الله جلَّ وعلا قد اطلَعَ الملائكة على طبيعة هذا المخلوق البشري، بأنَّه يفسد ويرتكب المحرمات،كما يصلح ويؤدي الواجبات، وبما أنهم مجبولون على الطاعة، ولا يعصون الله تعالى أبداً، بل لا يفكرون بالمعصية بطبيعة خلقهم، فقد أثار هذا المخلوق الجديد في نفوسهم سؤالاً عن الحكمة من خلقه، وهو يختزن في بعض أدائه معصية خالقه.

سواءً أعرف الملائكة طبيعة آدم البشرية من تجربة سابقة، أو مما أطلعهم الله تعالى عليه، فقد جعله الله خليفة على الأرض بقوله: «اني جاعل في الأرض خليفة»، وهو هنا يتحدث عن نوع البشر الذين يجسدون مواصفات الخليفة، وهم أولئك المؤمنون بالله تعالى من الأنبياء والأوصياء والقديسين والشهداء والصالحين، أمَّا الذين يخرجون عن وصف الخلافة، فهم الذين أخرجوا أنفسهم بسلوكهم وأعمالهم فكانوا من الكافرين والمنحرفين واتباع الشياطين. فالخلافة ليست لقباً تشريفياً، بل هي صفة تنطبق على مستحقيها من ولد

آدم عليه السلام، إذ لا يعقل أن يستخلف الله في الأرض من يخالفه، وإن كان برحمته قد خلق الناس جميعهم، وخيَّرهم في قبول الاستخلاف أو عدمه، فالخلافة للمؤمنين.

هل تريد أيُّها الشاب أن تكون خليفة الله تعالى على الأرض؟ عليك بالطاعة لله والعمل بأوامره ونواهيه، وأنت الذي تتحمل مسؤولية الاختيار بالكامل. فقد خلقنا الله تعالى بإرادة منه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وفي تفسير معنى ليعبدون قالوا: ليتعرفوا عليَّ، وقد شاء الله تعالى أن يخلقنا، فلا فائدة من الغرق في الحديث عن أسباب خلقه لنا، فهو ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[2]، بل لا يمكن تغيير الواقع، فقد أوجدنا الله تعالى، وعلينا الاستفادة من هذا الوجود.

إسأل نفسك لماذا لا تعمل الصالحات لكسب رضا الله تعالى والدخول إلى جنته؟ طالما أن الإمكانات متوفرة لديك، فبإمكانك أن تصل إلى أرقى المستويات، وتنال أعظم العطايا والمكافآت، إرادتك بين يديك، وتصميمك ضمن مسؤوليتك، وها هي دنياك تحيط بك لفرصة محدودة، في متاع مؤقت زائل. إذا أحسنت الخلافة فلنفسك، وإذا أسأت الخلافة فعليها، فانظر كيف تستفيد من دنياك وتنقذ آخرتك.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

خلق الله الإنسان مميزاً عن كل المخلوقات: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١]، فهو الوحيد بين مخلوقات الله تعالى الذي يُنشئ الحضارة، ويطور الحياة المدنية، ويساهم في اكتشاف وإعمار الحياة، في مقابل السلوك الغرائزي للحيوانات التي تتصرف بطريقة متشابهة منذ خلقها الله تعالى على الأرض، وبما أن الإنسان يمتلك هذه القدرات الخلَّاقة، فالحكمة أن يستفيد منها لما فيها خيره، وهذا لا يتحقق إلَّا باتباع تعاليم الله التي توجِّه الإنسان نحو مصلحته الأكيدة والمضمونة.

أنت المسؤول عن الاختيار، لأنَّ نفسك بين يديك، وتحمل القابليتين في الصلاح والفساد، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٢]، فلا تفسِّر بعض الآيات القرآنية كما يحلو لك، فقد سمعتُ من بعضهم يردُّ الهداية إلى الله تعالى، فإذا أراد الله اهتدى الإنسان، وإذا لم يرد لم يهتدِ، فالأمر خارج عن إرادته، لقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٣]، وبذلك يعتبر نفسه معذوراً إذا عصى وانحرف وجنح بشبابه إلى الرغبات والرذائل والمعاصي!

الخطاب في الآية موجَّه إلى الرسول ﷺ، الذي كان يرغب بهداية من يحب من أقاربه ومن الناس، فأخبره الله تعالى بأن الهداية

---

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) سورة الشمس،الآية: ٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٦.

لا تتحقق لمن تحب هدايتهم، فللهداية طريقٌ واضح، رسمه الله تعالى فأرسل الأنبياء والرسل بالرسالات السماوية لتبيانه، وخلق الإنسان بقابلية الهداية، فإذا اتبع الإنسان هذا السبيل، مستفيداً مما أودعه الله تعالى إياه من حق الاختيار، اهتدى، فتكون الهداية بمشيئة الله بسبب طريقه، وتكون بمشيئة الإنسان باختياره، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[1]، فالله يهدي من يشاء بتحديده للطريق الموصل إلى الهداية، فمن سار عليه اهتدى، فتكون مشيئة الإنسان عند اختياره لهذه الطريق سبباً للهداية، منضمة إلى مشيئة الله تعالى.

الفرصة بين يديك، وقلبك يهتف بالإيمان بشكل فطري، وضميرك يرتاح إذا سلكت هذا الطريق، فلا تعاند، ولا تنزلق أمام رغبةٍ جامحة فتهوي وتسقط في المعصية! بيدك قرار الهداية، وبيدك سلوك الضلال.

٨ ـ سن المراهقة ليست سناً للانحراف

إنَّ سنَّ المراهقة ليست سناً للانحراف، سن المراهقة هي سنُّ الطاعة لله تعالى كما هي سنُّ الانحراف، فكما يكون الشاب قوياً في طاعة الله يكون قوياً في معصيته، وذلك بسبب الطاقة الحيوية التي يمتلكها. من جزمَ بضرورة حصول فترة انحراف عند الشاب لسنة أو سنتين أو ثلاث سنوات على الأقل بسبب المراهقة فهو مخطئ! إذ إن اختلاف المقومات الجسدية والنفسية عند المراهق عن مرحلة

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٩.

الطفولة لا تعني حتمية الانحراف واتباع الشهوات. فالانحراف سلوك كما الطاعة سلوك، وإنما يتكوَّن السلوك بالثقافة والتربية والاختيار.

يرغب الشاب المراهق بالتمايز والاستقلال، ويحبُّ أن يتخذ قراره بنفسه، فيعاند نصائح الكبار له، ويحاول أن يتشبَّه بهم كمنافس لهم، يعيش أحاسيس إثبات رجوليته، ولا يعترف بضعف تجربته. يهتم بالتصرفات التي تصنِّفه في عالم الكبار، كطريقته أثناء الكلام معتدّاً بنفسه، وطريقة مشيه، ويتمرَّد على العادات والتقاليد والقيود، وتبرز عنده الخصوصية بكل أبعادها... يمكن لهذه المرحلة الانتقالية أن تكون إيجابية أو سلبية.

إذا تعاملنا معه آخذين بعين الاعتبار خصوصية هذه المرحلة، ولم نتعامل معه كطفل، واتخذناه صاحباً ووزيراً، واستمعنا لآرائه مهما كانت سخيفة، وحاورناه من دون إحراجٍ أو قهرٍ أو استخفاف، وتعاونّا معه لنسهل له تحقيق رغباته فيما يكون ملائماً ومناسباً ليصرف طاقته في الطريق الصحيح، وعفونا عن هفواته ولم نلاحقه بالتأنيب والعقاب والنقد على كل سلوك، وأعطيناه هامشاً ليحقق شخصيته، وأحطناه بشكل غير مباشر بأجواء الصحبة والأجواء العامة المدرسية والمجتمعية الصالحة، فإننا نقوِّم شخصيته، ونساعده على بلورتها بشكل أفضل.

وإذا عرضنا عليه من تجارب الماضي والحاضر ما يجذبه كقدوة له، وعرَّفناه على تلك الشخصيات العظيمة الفريدة في

التاريخ، كالرسول ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، ومصعب بن عمير ومالك الاشتر وأسامة بن زيد، وعرَّفناه في الحاضر على النماذج الشابة المجاهدة، كالشباب المقاوم في لبنان وفلسطين ضد الاحتلال الإسرائيلي...عندها سيتأثر بهم في مرحلة مراهقته بشكل إيجابي. إنَّ الشاب بحاجة إلى القدوة النموذجية التي يستلهم منها ويقلدها، ويرغب بسماع إنجازاتها وسيرتها ومميزاتها، فإذا لامست الشخصية القدوة تطلعاته وأُعجب بها، فستكون سبباً مباشراً للتأثير على شخصيته وتوجيه حيويته. فبدل أن يقتدي بالعبثيين والمستهترين والماديين، نوفِّر له فرصة الاقتداء بالصالحين والأقوياء في طاعة الله تعالى، ونستفيد من طاقته في الاتجاه الإيجابي.

ما الذي يضيرنا إذا اتَّخذ الشاب قراره بنفسه عن قناعة تامَّة طالما أنَّنا هيأنا له المعطيات والمقدمات والنقاشات الضرورية للقرار الصحيح؟ ما المانع من أن يعيش خصوصيته؟ وما الضرر في أن نحوِّل عناده إلى عزيمة تعاند الكفر والانحراف؟ وما الخطأ إذا كان تقليده للكبار اكتساباً لتجاربهم؟ لنثق أنَّ بإمكانه أن يسيطر على جسده وغرائزه إذا تعاملنا معه بطريقة إيجابية، وساعدناه بالشكل الصحيح.

أمَّا إذا أسأنا التعامل معه، وتعمَّق الحاجز بيننا وبينه، وعاش الوحدة في خياراته، متمرداً على محيطه، معتمداً على تجربته الضعيفة والانفعالية، فستكون النتيجة سلبية بكل المعايير.

تعيش الشابة المراهقة نضج جسدها، وتنمو عندها أحاسيس الجمال والمظهر الحسن ورغبة البروز، وترغب بالتمايز عن أقرانها، وعن والدتها ومن جايلها، وتعيش أنوثتها في أوج توهجها، وتحب أن تتَّخذ قرارتها بمعزل عن الآخرين، وتبحث عن مكانها ودورها بين الآخرين...يمكن لمرحلتها هذه أن تكون إيجابية أو سلبية.

فإذا تعاملنا معها كبالغة راشدة، واعترفنا بخصوصيتها في هذه المرحلة، ولم نتعاطَ معها كطفلة، وقدَّرنا اهتمامها بجمالها وتمايزها، فأفسحنا لها المجال بين أقرانها من دون تحاسد أو تنافس، بل بتعبيرٍ عن الشكر لخلق الله تعالى، واقنعناها وأعنَّاها على لبس الحجاب كمظهر يرتقي بها إلى الكمال الإنساني من دون أن تخسر من جمالها شيئاً فيما أحلَّه الله تعالى، وبيَّنا لها استحواذ هذا النموذج على رغبةِ شريحةٍ مهمةٍ من شباب المجتمع لبناء الأسرة الصالحة، وتركنا لها فرص التعبير عن آرائها وناقشناها باحترام وتقدير، ولم نقيِّدها بطريقة تخنق حيويتها، بل وجَّهناها بشكل غير مباشر إلى أجواء الصلاح والاستقامة والصحبة الحسنة، وعلَّمناها ما يوضِّح لها المنهج الحق ليكون اختيارها عن قناعة، واعترفنا بدور هذا النضج الجسدي في الحياة بالطريقة الملائمة المحلَّلة، عندها ستترجم مرحلة مراهقتها بطريقة إيجابية.

وإذا عرَّفناها على القدوة الصالحة لسيدات عظيمات في التاريخ، كفاطمة الزهراء عليها السلام وخديجة عليها السلام وزينب عليها السلام وآسيا زوجة

فرعون، وسمية أول شهيدة في الإسلام، وفي عصرنا الحاضر نموذج الشابات المجاهدات في دعم المقاومة ضد الاحتلال وتضحياتهن في نصرة الحق والدِّين، فإننا بذلك نوجِّه اهتمامها نحو النماذج المناسبة لتطوير حيويتها. وإلَّا فإن اقتداءها باللواتي يبرزن جمالهن ومفاتن أجسادهن، ويعرضن أنفسهن أمام الرجال، سيعطِّل الطاقة الفعالة الموجودة لديها، فنخسر بذلك الاستفادة من قدراتها العقلية والعاطفية والتربوية والإنسانية في الاتجاه الصحيح. إن القدوة الصالحة بقصصها وسيرتها ونموذج حياتها يشكِّل جاذبية عند المراهقات، إذا أحسنّا تقديمها إليهن، على أن لا ننسى تذكيرهن بمسؤوليتهن أمام الله تعالى، وبدورهن الإيجابي والمناسب في المجتمع.

ليس الحجاب حصاراً لها بل إطلاقٌ لطاقتها الإنسانية، ولجمالها في إطاره المشروع المحدد، والتعلم ضرورة لبناء شخصيتها، ومشاركاتها الاجتماعية المختلفة تساعدها على النمو والنضج، وهي قريبة إلى الإيمان بسبب عاطفتها ومشاعرها الرقيقة، فلنعطها المجال لتعبِّر عن شخصيتها من دون قمع أو ملاحقة تفصيلية، فهذا ما لا يضر أبداً، بل يقوي منعتها وقدرتها على مواجهة الحياة.

فإذا استقامت، تكون رقيبة على نفسها بشكل كافٍ، وتحصِّن نفسها بما يتجاوز كل الضغوطات الخارجية المصطنعة من الأهل والمجتمع، وتحصر إبراز جمالها في محله الصحيح بسبب قرارها

وتصميمها، وهي قوية وقادرة على ذلك عندما تقتنع بما تفعل.

أمَّا إذا حاصرناها، وضغطنا عليها، فستتمرد على قناعاتنا، وستشعر بالرغبة الجامحة للتخلص من التضييق، وستبحث عن شخصيتها بمعزل عن التوجيه السليم، وستطلق العنان لرغبتها في إبراز جسدها من دون قيود، فنخسرها ونخسر تلك الطاقة المفعمة بالحيوية التي تتحول إلى معصية وآثام.

الفصل الثالث

الانفعالات النفسية عند المراهق

تمتدُّ مرحلة المراهقة من سن الثالثة عشرة إلى الحادية والعشرين، وقد تتأخر الى الرابعة عشرة أيضاً، وتقسَّم إلى مرحلتين[1]: الأولى حتى السابعة عشرة، والثانية إلى ما بعدها وصولاً إلى الحادية والعشرين، حيث تسمى الأولى المراهقة المبكرة، والثانية المراهقة المتأخرة، لوجود بعض الفروقات بينهما، لكنَّ تحديد السِّن لا يكون حاداً في غالب الأحيان، فقد تتداخل زيادة السنة أو نقصانها بين المرحلتين، أي انتهاء المراهقة المبكرة عند الثامنة عشرة أو السادسة عشرة، لتبدأ بعدها المراهقة المتأخرة.

يُصاحب مرحلةَ المراهقة نموٌّ شامل، جسدي وعقلي ونفسي، تواكبه اضطرابات جسدية وعقلية ونفسية، بسبب هذه المرحلة الانتقالية الحساسة. ثم تستقر في نهايتها في اتجاهات واضحة ومحدَّدة، حيث تكتملُ معالمُ الجسد شكلاً ووظيفةً ومواصفات، وتتبلور قواعدُ العقل والتفكير في تحديد مسار الخيارات الشخصية والثقافية والمهنية والسياسية والمجتمعية، وتتَّجهُ النفس نحو إطارٍ

---

(١) قاسم، الشيخ نعيم، حقوق المعلم والمتعلم، ص: ٨٤.

يطبع حياة الشباب، التي تبرز مميزاتها في السلوك العملي، بحالة مستقرة أو قلقة، مؤمنة أو حائرة، متفائلة أو متشائمة، مطمئنة أو أمارة بالسوء...من دون نفي بعض التقلبات المحتملة مع تبدل الظروف والقناعات، ومن دون حدِّية لحالة دون آخرى، فقد يطغى اتجاه على آخر مع بقاء أثرٍ ما لنقيضه.

إذاً، نشهد في سن المراهقة انفعالات واضطرابات نفسية مصاحبة للنمو الجسدي والعقلي، وهي متفاوتة بين شاب وآخر، بين فتاة وأخرى، وبين الشاب والفتاة، حيث تكون عادية وبسيطة أحياناً، وتكون حادَّة ومتوترة أحياناً أخرى، وما بينهما مراتب كثيرة. علينا أن نتعاطى مع الانفعالات النفسية بلحاظ خصوصيات المراهق، وأن نبحث عن الأسباب التي تزيد من مستوى اضطرابها وتوترها، فقد تكون جسدية، أو عقلية، أو تربوية، أو بسبب الظروف الاجتماعية المحيطة، أو مزيج من عدة أسباب، أو غير ذلك.

سنتناول في هذا البحث عدداً من هذه الأسباب لتوضيح الصورة، وتسهيل التعامل مع المراهق والمراهقة:

١ ـ النمو الجسدي

تبرز التحولات في جسد المراهق في الطول والحجم والشكل، وكذلك في الأعضاء الخارجية، وما يترتب على الوظيفة الجنسية من قابلية الجذب والانجذاب والاستعداد للتناسل...وسنعرض لعدة تساؤلات وعناوين تسبِّب الاضطراب عند المراهق والمراهقة، ثم

نسوقها كنماذج وأمثلة يجول بعضها في حسابات المراهقين بتفاوتٍ لا يمكن حسمه إلا بدراسات ميدانية تظهر مدى أهمية بعض العناوين بالمقارنة مع غيرها، حيث تختلف النسبة من بيئة إلى أخرى، وتتداخل عوامل عديدة في مدى الاهتمام بكلٍ منها، وبما أننا نوردها كأمثلة فهي لا تكون واردة بأكملها عند كل الحالات، وإنما قد يرد بعضها، كما قد يرد غيرها مما لم نورده. إنما نذكرها لتسليط الضوء على ما يخالج المراهق من مشاعر وانفعالات لمتغيرات جسده، وهذا ما سنفعله مع كل الأسباب الأخرى.

أ ـ العناوين والتساؤلات

* ظهور البثور على الوجه (حب الشباب) وما تسببه من حرج، في الشكل، أو تعليقات المحيط.

* الطول الزائد أو القصر الظاهر، بالمقارنة مع المعدل الوسطي.

* ثغرات جمالية تبرز في طول الأنف، أو الأذنين، أو شكل الوجه العام، أو السمرة الحادة، أو عدم تناسق الجسد بشكل عام.

* البدانة وفي مقابلها النحافة، بالمقارنة مع المعدل الوسطي.

* آلام في الرأس، أو المعدة، أو الأسنان، أو المفاصل، يعاني منها بعض الأفراد.

* التعب وضعف الرغبة في القيام بأي مجهود.

* الرغبة بتوفر صفة ما موجودة عند غيره كقوة الجسد، أو الشهية على الأكل، أو التقليل من الطعام، أو شكل الجسد، أو غير ذلك.

* الأعضاء التناسلية وما يحيط بها، وما يصاحب ذلك من الشعور بالرغبة الجنسية.

ب ـ كيفية تعامل الشباب معها

التربية والثقافة عاملان أساسيان ومؤثران في كيفية تعامل الشباب مع هذه العناوين والتساؤلات، ومع غيرها كما سيأتي. وقد ذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام سبب المبادرة إلى تأديبه بسلوك الإسلام، قائلاً: «**وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب، قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لُبُّك**»[١].

إنَّ التثقيف الديني عامل أساسي في تنمية الوعي وهداية الشباب إلى المعرفة السليمة، التي ترشده إلى قواعد الصلاح في حياته، ولا يمكن الاستغناء عن المعرفة الدينية، وإلَّا حلَّت محلَّها معارفُ أخرى يلتقطها المراهق من المدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام، وتشكِّل عنده توجيهاً لمساره في حياته. وبما أنَّ الفكر المادي هو السائد، فإنَّ معرفة الشاب أو الشابة ستتأثر بهذا الاتجاه، فنكون بتخلّينا عن مسؤوليتنا الثقافية في تعريفه بالإسلام، قد دفعناه إلى المسار المادي الخاطئ.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

وقد أجمع فقهاؤنا على وجوب تعلم المكلَّف لمسائل الابتلاء في عباداته ومعاملاته ليؤديها بشكل صحيح، وهذا مدخلٌ طبيعي ليبدأ مع بلوغه ومراهقته رعاية الخطوات السليمة في تعامله مع متطلبات جسده وروحه ومحيطه الاجتماعي. إنَّ العلم الديني بقواعده الأولية والضرورية مسارٌ حيوي لكل مكلَّف، يساعده على استقامة اختياره، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام**»[1].

ما يعبِّر عن مأزق الاستهتار ـ في كثير من الحالات ـ بعدم بذل الجهد الكافي من المكلفين لتعلم أحكام الإسلام، وهذا ما يوقعهم في الجهل والانحراف. علماً بأن الخالق جلَّ وعلا قد أعطانا من التسهيلات ما يساعدنا على تلقي العلم الديني بسهولة، ففي فطرتنا علمٌ أوَّلي وقدراتٌ في خلق الله تعالى لنا تساعدنا على التفاعل الإيجابي مع الدين، قال تعالى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2]، وذلك بإيداع المقدمات المساعدة على التلقي السليم .ثم علينا أن نتعلم لنجمع بين إيماننا والعلم النافع الذي يرتقي بنا إلى الدرجات الأعلى، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[3].

لا يمكن بناء سبيل الانسان في هذه الحياة من دون خلفية

(١) العلامة المجلس، بحار الأنوار، ج١، ٢١٣.
(٢) سورة العلق، الآية: ٥.
(٣) سورة المجادلة، من الآية: ١١.

فكرية يستند إليها، فإنْ كانت صالحة صلُح المجتمع، وإنْ كانت فاسدة فسد المجتمع. إنَّ العلم الديني ضروري لنتعرف على الحياة، وهو يشكل مع الإيمان سبيلنا لنتقدَّم بخطوات سليمة في السلوك، والحياة، وبناء المجتمع، فمع إضافة العلم العصري الذي يعرفنا شؤون دنيانا ومصالحنا فيها، نصل إلى المعرفة الحقيقية المتكاملة لدنيانا وآخرتنا، ففي الحديث الشريف: «**العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان**»[١] ونحن بحاجة إليهما في حياتنا.

لا يخفى تأثير الأهل والمربين على الشباب لإعانتهم في مرحلة المراهقة، وما نتحدث عنه من مسؤولية يتحملها الشاب والفتاة في التعامل مع هذه المرحلة ومتغيراتها، لا يعفي الأهل والمربين لمواكبة كل منهما في الاتجاه الإيجابي نفسه، كما لا يعفي الشاب والفتاة في تحمل كل منهما للمسؤولية الكاملة إذا لم تتيسر له الظروف الملائمة المساعدة له، في وجوب سعيه لتوفيرها في الحد الممكن، وأن لا يستسلم للأمر الواقع مهما كان صعباً ومعقداً.

لاحظ معي هذين النموذجين المتناقضين في التثقيف والتربية، وما يترتب عليهما من آثار:

الأول: يؤمن بمادية الحياة والفرصة الدنيوية في المتاع والملذات التي لا يصح تفويتها. انطلاقاً من هذه النظرة، يعتبر جمال الجسد وتحقيق رغباته غايةً لا مناص من نيلها، وإلَّا خسر خسارةً لا

(١) ابن ابي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي، ج٢، ص: ٣٠.

تعوَّض. وهنا تتحول بعض العناوين والتساؤلات عند الشباب إلى مشكلة حقيقية: كالبثور على الوجه، والثغرات الجمالية، والبدانة، وقوة الجسد، وما يطرأ على الأعضاء التناسلية... فيحاول الشاب بشتى الوسائل أن يعالج الثغرات الجمالية التي لا يجد لها علاجاً، خاصة إذا ارتبطت بالصفات الخلقية، كالشكل أو الطول أو غيرها، وهذا ما يزيد من اضطرابه لعدم حصوله على العلاج الملائم. وتربكه رغبته الجنسية بين الاستجابة لها في الحرام، أو كبتها ما يسبب له اضطراباً في الحالتين لارتكابه المعصية في الحالة الأولى، واضطرابه النفسي في الثانية. فالمنهج المادي في التربية يضع الشاب أمام المأزق، بين غاية منشودة لا يقوى على تحقيقها، أو تحقيقها في الاتجاه الخاطئ والمنحرف، وفي الحالتين ينعكس الأمر اضطرابات نفسية كبيرة تترك بصماتها على شخصية الشاب في الحاضر والمستقبل، وتؤثر على خياراته في كيفية تعاطيه مع جسده.

الثاني: يؤمن بقضاء الله وقدره، وأنَّ الدنيا متاعٌ مؤقت، وما يمر به في مرحلة المراهقة مرحلةٌ مؤقتة سرعان ما تتبدل وتتغير نحو الأفضل إذا أحسن اجتيازها. عندها يتصرف مع جسده بموضوعية واتزان، فالشكل والطول واللون من خلق الله الذي لا تبديل له، وهو ما قسمه الله للإنسان، وأمَّا البثور والبدانة والتعب وغيرها، فيسعى لمعالجتها ما أمكنه ذلك، بتنظيم طعامه وعدد وجباته، وممارسة نشاطٍ رياضي، أو بعرض نفسه على طبيب مختص لمعالجة ما يعاني منه، ويهيئ نفسه بقبولٍ حسنٍ للنتائج مهما كانت، ويستعين على

شهوته بضبطها من الخارج، بغض البصر، وعدم الاختلاط، والقيام بإجراءات الحماية اللازمة، إلى أن تحين الفرصة التي يتمكن معها من الزواج، كل ذلك في إطار من السعي نحو الممكن، والرضا بالنتائج، وتوقع الثواب والأجر من الله تعالى على سعيه وصبره، ما يُمكِّنه من الاستقرار النفسي، وعدم الوقوع في فخ الاضطراب والفوضى، فإن حصل له بعض الاضطراب، كانت لديه القدرة على المعالجة، وتقليل الآثار السلبية، فلا تتراكم مضاعفاتها للمستقبل. إنَّ إيمانه بالمقدَّر والممكن، وتربيته على السعي وبذل الجهد ثم قبول النتائج، يؤثران في كيفية تعاطيه مع ما يحيط بنمو جسده.

إنَّ تعامل الشباب مع الخيار الثاني، ضمن منظومة ثقافية وتربوية تواكبه، يساعدهم على التعامل مع مرحلة المراهقة بانتقال هادئ إلى المرحلة التي بعدها، وبأقل قدرٍ من الاضطراب النفسي والاجتماعي، خاصة مع وجود القابلية للمعالجة عند الوقوع في الأزمات والأخطاء.

٢ ـ الاستعجال

كأنَّ الشاب في مرحلة المراهقة يسابق الزمن، فهو عجول، راغبٌ بحصد النتائج سريعاً، يضجُّ من طول الدراسة، إذ يرغب أن يطوي الزمن ليتجاوزها إلى العمل وتحصيل المال، ويتضايق من القيود الأسرية والمجتمعية التي تحيط به في كثرة الممنوعات والنصائح التي تُوجّه له، ويريد أن يكون مستقلاً عن أسرته ليتخذ قراراته بنفسه. يقارن نفسه مع من هم أكبر منه سناً، خاصة إذا كانوا

من أقربائه أو جيرانه، ممن قطعوا المراحل التي يتمنى الانتهاء منها، لكنَّ سنَّه لا تساعده على ذلك.

يستعجل الحصول على أمانيه وأحلامه، ثم يصدمه الواقع بعامل الزمن، فكل شيء يحتاج إلى وقت، كما تحتاج الفاكهة إلى وقت حتى تنضج وتصبح صالحة للأكل، كذلك يحتاج الشاب إلى وقت ليتجاوز السن التي هو فيها، لتتراكم قدرته في الاعتماد على نفسه. هذا هو المسار الطبيعي في الحياة.

أيها الشاب، انك بحاجة لتهدئة اندفاعتك، لتنظر إلى الأمور بواقعية. ليست اندفاعتك بطريقة غوغائية أمراً فطرياً وحتمياً، بل هي نتيجة التربية التي لم تأخذ بيدك كفاية لتتروى. إعلم أن المراهقة سنُّ حيوية واندفاع، لكنَّ علمك بطبيعة الحياة، وإدراكك لمسار الأمور، وملاحظتك للتجارب المحيطة بك، تساعدك على التروي. وجِّه عجلتك إلى الخير والصلاح والفلاح، فقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام رجلاً من البصرة عن تفاعل الناس مع الدين، بقوله: «**عليك بالأحداث فإنَّهم أسرع إلى كل خير**»[1]. إذاً يمكن للشباب أن يوجهوا طاقاتهم في المسار الإيجابي، فلا يكونون متهورين، بل مسخِّرين لإمكاناتهم بحسب الأمور الواقعية للخير، فهذا ما يهدئ من روعهم، ويُكسبهم بعض النتائج الإيجابية، فيحمي الواحد منهم نفسه من خطر العجلة التي تؤدي إلى الإساءة أو اتباع الأهواء أو

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٨، ص: ٩٣.

سلوك الانحراف، ويعمل في طريق الخير بخطوات متراكمة هادفة ترتقي به بشكل طبيعي نحو الأفضل. وقد حذَّرنا القرآن الكريم من العجلة التي تؤدي إلى الشر، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾(١)، إذ من شدة حرصه للوصول إلى رغباته، يدعو الإنسان ليتحقق له الشر والإثم والمنكر كما لو كان يدعو إلى الخير المأمول، وهذا من العجلة المذمومة. على الإنسان أن يلتفت إلى تقدير الله تعالى للأمور، بحيث يحصل كل واحد على نصيبه المعلوم المحدَّد الذي لا يستطيع تجاوزه، وإنما هو مأمور في هذه الدنيا بالسعي، فليكن مطمئناً بأنَّ سعيه سيوصله الى ما هو مقدرٌ له. قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(٢)، وقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٣).

٣ ـ القلق

هل سيكون مستقبل حياتي كما أريد؟

هل سأتمكن من التخصص في المجال الذي أرغبه؟

هل سأتمكن من تحمل الأعباء المالية للجامعة التي تناسبني؟

هل سأجد فرصة للعمل مع تضاؤل الفرص وكثرة المتخرجين؟

هل سأتمكن من تأسيس بيت لي من دون ديون مرهقة؟

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥١.

هل سأتحمل الانتظار قبل أن أملك حرية التصرف؟

هل سأحصل على الزوج المناسب؟

هل سأنجح؟ وماذا سيقول الناس عني إذا فشلت في بعض أموري؟

أسئلة كثيرة تراود الشباب، وتجعلهم في حالة قلق من الحاضر والمستقبل! وكلما ازدادت الأسئلة ازداد القلق، لانعدام فرص الإجابة عنها في الوقت الحاضر، خاصة أنها أسئلة للمستقبل، والله أعلم بما يمكن أن يحصل من تطورات ومتغيرات في حياة الإنسان، وماهية الفرص التي تتوفر له لتسهل أموره، وطبيعة العقبات التي تعيق طموحاته.

توقَّف عن الأحلام والأوهام، ولا تُربك نفسك بهذا السيل من الأمور المقلقة. لست أول شاب في هذه الدنيا، ولست الوحيد المبتلى بقانون الزمن والإمكانات. لا تكن متوتراً بتشاؤمك بما سيحصل، فقد يحصل لك كل الخير، وإذا واجهتك الصعوبات وصبرت، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾(١).

ما رأيك بأن أدلك على ما يريح نفسك؟

ألا ترغب بمعرفة ما يطمئنك وينزع عنك هذه الخواطر المقلقة؟

اذكر ربك دائماً في السر والعلن وفي جميع أحوالك، تعش

---

(١) سورة الانشراح، الآية: ٥.

طمأنينة النفس، والتسليم لله تعالى، فيعينك على الراحة المعنوية التي تطرد القلق من حياتك. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

لماذا؟ لأنك مع الله، تنسجم مع المنظومة الكونية التي يشرف عليها خالقها وخالقك، فبذكره تلجأ إليه وتستعين به، وهذا ما ينعكس عليك بتسديد الله تعالى لك، ويزيدك إيماناً واستقراراً، فتطرد القلق من حياتك. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2]. جرِّب هذا الأمر، فاذكر ربك في كل امورك، قبل أن تنطلق في بيتك، وعندما تهم بقراءة درسك، وحين البدء بطعامك، وإذا واجهك أمر ما في حياتك اليومية. تأمَّل في خلق الله تعالى لك ولما حولك، وتفاعل مع الذكر والصلاة والعبادات المختلفة... فستجد السكينة محيطة بنفسك وجوارحك.

٤ ـ حرية التصرف

هل تريد أن تتخلص من القيود! ما الذي يزعجك فيها؟

هل تريد أن تشعر باستقلاليتك!

وهل أنت قادر على الاستغناء عن مساعدة أبويك أو معلميك؟

أتريد أن تكون الآمر الناهي!

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٤.

ما هي مشكلتك؟ ولماذا لا تعيش حياتك الطبيعية؟

أثبت الإسلام خصوصية مرحلة المراهقة، في رغبة المراهق ابتداء من سن الرابعة عشرة تقريباً، بالاستقلال وحرية التصرف، ولذا دعت الروايات المختلفة إلى التعامل مع الشاب كصديق ووزير، فقد ورد عن الرسول ﷺ: «**ووزير سبع سنين**»، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**والزمه نفسك سبع سنين**»، في الإشارة إلى هذه المرحلة، كما أكدت الدراسات الحديثة على أنها: «الفترة التي تتكوَّن فيها معالم الشخصية المستقلة، فالولد يجنح إلى الاستقلال، وإبداء الرأي والاختيار، ويرغب بأن تؤخذ وجهة نظره بعين الاعتبار، ويكره بأن يُعامل بطريقة طفولية، ويتصرف على أساس أنَّه صاحب قرار»[١].

لو افترضنا أنَّ أهلك ومربيك لم يقوموا بمسؤوليتهم في مواكبتك بشكل سليم، وأنَّك واجهت أيها المراهق ما يخالف متطلباتك، فماذا تفعل؟

لا يضيق صدرك إذا أخطأوا معك، ولا تجعل نفسك في موقع المظلوم الذي خسر كل شيء! ولا تبالغ في استقلاليتك واندفاعك نحو التصرف بحرية كاملة. إعلم أنك مسؤول تجاه أهلك ومجتمعك ومعلميك، وأن الحرية التي تحتاجها هي المقدار الذي يساعدك على

---

(١) قاسم، الشيخ نعيم، حقوق الوالدين والولد، راجع ص: ٩١ ـ ٩٣.

بناء شخصيتك للمستقبل. عليك أن تعترف بالقيود والعقبات، وأنك ستواجه بعض الممنوعات والصعوبات، عندها لا ترتبك حياتك، ولا تعيش المرارة والقهر والأذى النفسي.

من حقك على الآخرين أن يقدِّروا مرحلتك، ولكن من واجبك أيضاً أن تراعي حدودك، فلا تخرج عن طورك، ولا توصل الأمور إلى مرحلة التمرد. حاول أن تناقش المحيطين بك بمشاعرك ومتطلباتك، وافتح نافذة الفرص للاتفاق معهم على قاسمٍ مشترك بينك وبينهم، واعمل على أن تبقى مندمجاً مع محيطك من دون أن تنقلب عليه أو تعاديه. استنفد وسعك لتتمتع بقدر مناسب من حرية التصرف بحسب الظروف التي تحيط بك، وليكن هاجسك تنمية إمكانات الخير في نفسك وأدائك، ولا تطلق العنان لهواك، ولا تخرج عن الإحسان لوالديك، والتزم آداب العلاقة مع معلميك، ووقِّر من هو أكبر منك، فمع هذه التصرفات ستجد المساحة الملائمة لحرية هادفة.

٥ ـ الضمير

يتشكَّل الإحساس بالوازع الداخلي أو الضمير في مرحلة ما قبل المراهقة، ثم ينمو عند المراهقة، حيث يؤاخذ المراهق نفسه على الأخطاء التي يرتكبها، ويخشى عقاب الله تعالى من المعاصي التي ارتكبها مهما كانت صغيرة، ولا يمكن عزل هذا الإحساس بالمؤاخذة عن نمو القدرة العقلية والنفسية لديه برقابة الخالق عزَّ

وجل له، وإيمانه بوجود الجنة والنار للحساب. ورُبَّ قائل: هذا ما يشعر به من يعيش الأجواء الإيمانية! لكنَّ الدراسات التربوية أثبتت بأن الوازع الديني حالة منسجمة مع الفطرة الإنسانية، وهذا الأمر موجود في المجتمعات الإسلامية والمسيحية على حدٍ سواء، وإنما يتفاوت تأثيرها بحسب التربية الدينية، بل في المجتمعات اللادينية يعيشون مشاعر المراقبة الخفية التي تجعلهم يعيشون المسؤولية الذاتية، التي تنمو بفعل التربية والقواعد السائدة في المجتمع، أو تتلاشى بسببها أيضاً.

إنما يتمرَّد الشاب على الوازع الديني بعد تراكم المعاصي والانحراف لديه بشكل كبير، وذلك عندما يعيش التردد والقلق والمؤاخذة عند كل خطأ، ثم يكرره مراراً عديدة، فتضعف المؤاخذة عنده تدريجياً، ثم يبطل تأثيرها في وخز الضمير أو الردع عن المعصية، وبذلك يتحول الخطأ إلى عادة سيئة تطبع سلوكه، فيسود حجاب الظلمة على قلبه ونفسه، ما يجعله يألف الانحراف بل يدافع عنه ويدعو له. وأفضل تعبير عن صدأ القلب الذي يصبح حاجزاً أمام الفطرة السليمة، ما قاله تعالى في القرآن الكريم: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، فالأعمال السيئة تؤدي إلى حجاب يحيط بالقلب، فيحرمه من لذة التوبة والذكر والطاعة لله تعالى.

هل تعلمين أيتها الشابة، كيف يبقى ضميرك يقظاً؟

---

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

هل ترغب بالسيطرة على انفعالاتك وأعمالك لتكون سليمة في نتائجها؟ هل تريد الأُنس بما تفعله من دون قلق نفسي ومؤاخذة وحساب؟

إذا واجهك أمرٌ ترغب القيام به، أكان طعاماً أو نزهة أو رياضة أو درساً أو صحبة أو بناء علاقة جديدة أو... فإن كان واضحاً في حلاله، ولا يوجد فيه معصية أو انحراف، فافعله وتوكَّل على الله تعالى، إذ من حقك أن تحصل على الملذات والخيرات التي أوجدها الله تعالى في هذه الدنيا، طالما أنها في طريق الحلال. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وإذا واجهك هذا الأمر الذي ترغبه، ولم يكن واضحاً لديك، فأنت لا تدري إن كان حسناً أو سيئاً، نافعاً أو مضراً، حلالاً أو حراماً، فالتجربة جديدة عليك وأنت جاهل بمعطياتها، أو لديك بعض المعلومات التي تشير إلى احتمال اختلاط حلالها بحرامها، فتأمَّل. فكِّر قبل أن تُقدم على العمل، ولا تتسرَّع في الاستجابة له، حاول أن تستفسر لتفهم ما أنت فاعله، ولا تعذِّر نفسك بأنك تتخلّى عن العمل عند اكتشافك لسوئه، فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، إذ قد يجرفك الموقف، أو تضعف أمام المجموعة التي تشاركها هذا العمل، خشيةً من عزلتهم لك وسخريتهم عليك...فلا

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

تضع نفسك في موضع الشبهات، «**من دخل مداخل السوء اتُهم**»[(١)].

لا تعتمد في كل شيء على تجربتك الخاصة، بل استفد من تجارب الآخرين، مما جرى معهم ووقعوا فيه وخسروا، مما نجحوا فيه وربحوا، ولا تضيّق على نفسك بحشرها في موارد الشك والتردد والخطر. ليكن اختيارك بعد حوار بينك وبين نفسك حول الأصلح والأفضل، ثم خذ خيارك.

أنت أمام احتمالين: أن يكون الحسم لصالح الخيار الصالح، فهنيئاً لك. أو أن يكون لصالح الخيار الخاطئ ـ لا سمح الله ـ فحاسب نفسك، وطالبها بما ارتكبته من خطأ، وافسح المجال لضميرك ليؤنبك، فلا تقمعه، ولا ترفض وخز الضمير، ولو أدى بك الأمر إلى البكاء. إسعَ إلى التوبة، واستغفر ربك، وايقظ فطرتك السليمة في رفض المنكرات والمحرمات، تكون بذلك كيوم ولدتك أمك، فمع التوبة أنت في بداية جديدة.

وإذا واجهك الأمر الذي ترغبه، وقد اتضح لديك خطأه، وإنَّه حرام منكر، وارتكبته، انتبه كي لا يتكرر الأمر. فلو تكرر كرِّر مواجهة شيطانك، ولا تتركه يتحكّم بك، وارفض عملك الذي قمت به، للمرة الثانية والثالثة والرابعة... وإيَّاك أن تستسلم، أو أن تعيش أُلفة الانحراف والمنكرات، أو أن تعطِّل ضميرك في وخزه لك ومساءلتك الدائمة، فلربما تنجح بعد هذه المرات بسبب استمرار

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصيرة، رقم: ٣٤٩.

صراعك مع نفسك، فلا تستسلم. إسأل ربك أن يعينك، واستعذ به من الشيطان الرجيم، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾(١).

إعمل على أن لا تعتاد على الانحراف، وأن لا تجذبك لذَّته الآنية للانغماس فيه، فالأمر بيدك. وأنا أعلم أنه يجذبك ويؤنسك، وأنك تشعر بالانسياق إليه، وتشعر بضعفك في مواجهته، لكن لا تستسلم.ألا تعتقد بحرمته؟ إذاً قم بالرفض النفسي، واسلك طريق الممانعة التي ذكرتُها لك، واستعن بكل ما يساعدك، والجأ إلى صديقٍ وفيٍّ وأمين ومؤمن ليأخذ بيدك، واستنصح من تثق بصلاحه وحكمته. فتِّش عن مشاريع تملأ فراغك وتَصرِفُك عمَّا أنت فيه، غيِّر برنامجك وظروفك التي تشدُّك إلى الحرام، غيِّر أصدقاء السوء وابتعد عنهم. إذا كان مكوثك في البيت يورطك بحضور المحرمات على التلفاز فاخرج من البيت للقاء الأصدقاء، أو المشاركة في نشاط، أو غير ذلك. اجلس مع الآخرين ولا تنفرد وحدك في غرفتك التي تأتيك بالآثام. وإذا كنت في نشاط أو نزهة أو صحبة تورطك في الملذات المحرَّمة، فبدِّلها بما يحقق لك الملذات المحلَّلة، فإذا شعرت في البداية أنك خسرت لذة مؤنسة أو كافحت رغبتك، فإنك ستشعر لاحقاً بالسعادة الكبرى لانتصارك على هواك، وقدرتك على الإمساك بزمام المبادرة، وعدم الانجراف مع

---

(١) سورة الناس.

المحرمات، وتعطيلك لما يمكن أن يتحول إلى عادةٍ وسلوك يصعب تغييره.

جرِّب هذا البرنامج الذي ذكرته لك. قد يبدو لك صعباً فلا تتوهم منه، ما الذي ينقصك؟ أنت شاب لديك كل الحيوية والنشاط والقدرة، فلا تستسلم لهواك، وأطع أمر مولاك وخالقك، تجد لذة الطاعة والحلال التي لا تعادلها لذة على الأرض. مشكلتك أنك لم تذقها بعد، لم تتسع تجربتك لتقارن بين اللذة الباقية واللذة الزائلة، واعلم أنك إذا لامست أُنس الطاعة لله واخترت ما أحلَّه لك، فلن تترك هذا الطريق، لأنه طريق الراحة النفسية والسعادة الدنيوية والثواب في الآخرة. اعمل لتعتاد على الطاعة والحلال، ولا تدع المعصية والحرام يتحكمان بك، واطرُق باب الإيمان يُفتح لك على مصراعيه، وكُنْ ملحاحاً، فمن لَجَّ وَلَج، فإذا وَلَجْتَ ودخلت في طريق الهداية، عندها يجري على يديك الخير، وتعيش منسجماً مع فطرتك السليمة، فهنيئاً لك توفيقك.

٦ ـ الانفعال

في المرحلة الانتقالية التي يعيشها المراهق على المستوى الجسدي والنفسي، تكون قابليته للانفعال سهلة وسريعة، حيث يتخذ الانفعال لديه أشكالاً متعددة بحسب مقوماته الشخصية وظروفه التي تحيط به.

ففي بعض الحالات يكتم المراهق انفعالاته خشية انتقاد

الآخرين ولومهم، ويحسب حسابات كثيرة لمن حوله، ويتحسس من أي تصرف قد يكشفه أمام الآخرين ويعرِّضه للمساءلة، وتبرز عليه معالم الخجل من المواجهة أمام الأحداث، فيعيش حالة انطواء وعزلة. يجب أن يخرج المراهق من هذه الحالة، فهي طارئة واستثنائية، لها علاقة بالأجواء التربوية التي أحاطت به، والتقاليد والأعراف التي ضغطت عليه. على الأهل والمربين أن يساعدوه على كسر هذا الحاجز، بتشجيعه لإبداء رأيه، والاستماع لملاحظاته بصبر وتأمل، وعدم تسخيف وجهة نظره. وعلى المراهق أن لا يعيش وَهْمَ الضغط الاجتماعي والأسري، وأن يجرب إبداء وجهة نظره في بعض المجالات، بين الأصدقاء، أو مع أحد معلميه، وأن يلجأ إلى التعبير الثنائي بينه وبين أحدهم، بينه وبين أبيه أو أمه أو معلمه... ولا يلجأ في بداية المطاف إلى التعبير بحضور مجموعة كبيرة، فيكون بتعبيره الثنائي قد كسر حاجز الخجل والخوف، وتخلَّص من خطر الانطواء والانفعال الذاتي الذي يولِّد الاكتئاب وانعدام الثقة بالنفس.

وفي حالات أخرى يتصف سلوك المراهق بالشدة والتوتر، فهو يرد بسرعة على أي موضوع، ويرفع صوته مستنكراً، ولا يراعي من هو أكبر منه. يتصرف بعدائية تجاه الآخرين متهماً إياهم بأنَّهم لا يفهمونه ولا يقدّرون حاجاته ورغباته، ويثور لأتفه الأسباب، حيث يبرز ذلك من تعابيره القاسية أو حركاته أو عصبيته المفرطة.

على الكبار أن لا يتصرفوا معه بردة فعل قاسية، وأن يراعوا سنَّه

وقلة درايته وتجربته، وأن يستدرجوه للإفصاح عما يزعجه ويؤلمه، وأن يُبدوا له التفهم والتقدير والمساعدة في إطار احترام رأيه، آخذين بيده لتلطيف طريقته في التعبير. لا يصح وضعه في موقع الند مع الكبار، ولا الرَّد على انفعاله بانفعالات مقابلة، فهذا ما يعقِّد المشكلة، ويجُرُّه إلى تصرفات غير لائقة وأكثر عدوانية.

على المراهق أن يلتفت لنفسه، وأن يعلم بأنَّ معرفته القليلة وتجربته المحدودة وخبرته المعدومة تقلِّل من حسن تقديره للموقف، ليس صحيحاً أنَّه على حق دائماً، وليس الآخرون أعداء له، ولا يتصدَّى أحدٌ له ليحطمه ويؤذيه. عليه أن يدرك بأنَّه في مرحلةِ تذبذبٍ وعدم استقرار، فليلجُم سلوكه، وأنَّ الأمرَ بيده ليتخذ القرار المناسب، إذا تأمَّل وفكَّر ولم يتسرَّع. على المراهق أن يتقبَّل التمايز بين وجهة نظره والآخرين، وأنه ليس وحيداً، وليس معذوراً في إطلاق العنان لتصرفاته الانفعالية السلبية، فسلوكه لم يحصل بطريقة لا إرادية، إنَّه قراره السلبي بسبب عدم التروي وقلة المعرفة والتشكيك بالآخرين، ليس صحيحاً أن يردَّ الأمر لمرحلته التكوينية التي يمر بها، وكأن سلوكه آليٌ لا يتحكم به، إنما الصحيح هو سرعة استجابته لمثل هذا السلوك الذي يستطيع ضبطه والتحكم به. ستبقى ميزة الشباب القليل الخبرة بارزة في سلوكه الذي يميزه عن الكبار، لكننا نتحدث عن انفعال يزيد عن حدِّه لأتفه الأسباب من دون مبرر ولا نفع، ثم لا يؤدي إلَّا إلى مزيدٍ من التوتير والعناد والتحدي والمشاكل.

يمكننا توجيه الانفعال ليكون إيجابياً ومتوازناً، من دون إبطال ميزة الشباب وخصوصياتها، وأن يكون وسطياً بين الخجل المفرط والانفعال الزائد، بين الانطواء على النفس وعدم لياقة التعامل مع الكبار، بين الشعور بالغبن واستعداء المحيط، وذلك باعتماد القاعدة التي رسمها النبي الأكرمﷺ: **«خيرُ شبابكم من تشبَّه بكهولكم»**[١]. فالكهل بما يمتلك من معرفة وخبرة يتصرف باتزان ودراية، وهو بذلك قدوة للشباب الذي يريد تقويم أدائه، نحو الأفضل، فالحديث لا يدعو إلى الخروج عن خصوصية مرحلة الشباب، بل يدعو إلى التشبُّه، أي الاستفادة من إيجابيات سلوك الكهل.

على المراهق أن لا يبالغ في تصوراته وأوهامه وأحلامه، وأن يكون واقعياً، يلتفت إلى إمكاناته ومحيطه الاجتماعيين، وأن يتجاوز حسَّه المرهف تجاه تصرفات الآخرين، فلا يتسرع بالحكم عليها، ولا يتهمهم بالإساءة إليه أو استهدافه. وعليه أن لا يقاطع عالم الكبار، ولا يكتفي بنصائح وآراء أقرانه، فإنَّه بحاجة إلى من يرشده وينصحه كي لا يدفع الثمن من تجاربه وأخطائه.

---

(١) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص: ٤٠١.

الفصل الرابع

العلاقات الاجتماعية

١ ـ العلاقة مع الأهل

تنمو لدى المراهق الرغبة بتخفيف القيود من حوله، والتخلُّص من السلطة التي تحيط به، ويستيقظ لديه الاحساس بذاته وكيانه، ويسعى نحو المزيد من الاستقلال ليتميَّز كشخص لديه خصوصيته ودوره ورأيه.

كيف يتعاطى الأهل مع هذه المرحلة؟ وكيف يجب أن يتعاطى الشاب والشابة معها؟

من الخطأ التعاطي مع هذه المرحلة بأنها مشكلة وعقدة، فعلى الأهل أن يتعاطوا معها كنمو طبيعي له مستلزماته ومن الضروري مواكبته، فلا يصح التعامل مع المراهق كما يتم التعامل مع الطفل، فهو أمام وضع جديد يتطلب مخاطبةً مختلفة، وسلوكاً مغايراً، وتقديراً للطاقة الجديدة التي بدأت بالتشكُّل، وإشعاراً بكينونته وشخصيته، ما يساعده على بلورة مرحلته بطريقة تربوية صحيحة، وهو يحتاج إلى الصديق الناجح، ولا يتقبل الآمر الناهي، يأنس للحوار والمشاورة، وينفر من الرأي القاطع المُلزم، يحب الاعتناء به

كشخص موجود، وينزعج من إغفاله وتذويب شخصيته.

إنَّ تصرفات الأهل تساعد على بلورة شخصية ولدهم بطريقة إيجابية، وتمكنهم من القيام بدورهم تجاهه بشكل سليم، نذكر منها:

* تعاملوا مع ولدكم كصديق، شاوروه وحاولوا إقناعه قبل اتخاذكم لقراركم، وحاوروه في القضايا التي تهمه حيث تعتبرون أنفسكم معنيين به، على أن تعوّدوه على تقبل رأيكم في نهاية المطاف ولو خالف رغبته، كجزءٍ من تربيته على الطاعة والإحسان للوالدين، وكذلك أن تتيحوا الفرصة لموافقته على خياراته في بعض الأحيان ولو لم تعجبكم، طالما أنها في دائرة الاستنساب والأفضلية، وليس فيها خطأ أو انحراف.

* تابعوا إشرافكم على نشاطاته وعلاقاته، من دون التدخل في جزئياتها وتفاصيلها، واحصروا اهتمامكم بنوعية أصحابه، من دون الدخول في تفاصيل أحاديثه معهم، واتركوا له الفرصة ليحدثكم عن نشاطاته بالقدر الذي يرغبه.

* عوِّدوه على تنظيم غرفته ومكتبته وأغراضه بما يعزز استقلاليته في ترتيب حاجياته لتكون في متناوله بالطريقة التي يحبها، وفي الأمكنة التي يستنسبها.

* شجِّعوه على اتخاذه للقرارات التي تعنيه، بعد أن تفسحوا له المجال ليعرض أفكاره أمامكم، ويناقشكم بها، واطرحوا معه الخيارات المتعددة، ليكون أمام أكثر من احتمال قبل حسم قراره،

واتركوا له الفرصة ليقول رأيه النهائي، ثم شجعوه عليه عندما يكون في دائرة الخيارات المقبولة لديكم.

* دعوهُ يجرِّب في بعض الأحيان ليكتشف بنفسه ما ينفعه مما يضره، عندما لا تكون التجربة مكلفة ولا تسبِّب انحرافاً، وإنما تنحصر بين المناسب والأنسب، أو بين ما يسبب خسارة مادية محدودة ومحمولة في مقابل توفيرها، خاصة عندما يكون متحمساً ومندفعاً، عندها عرِّفوه وجهة نظركم، واتركوا له الخيار ليتحمَّل مسؤولية عمله.

* لا تستحضروا أمامه تجربتكم بشكل دائم، ولا تقارنوا أفعاله بأفعالكم عندما كنتم في سنه، فسيواجهكم باختلاف الزمان والظروف، إنَّ بإمكانكم أن تعرِّفوه على رغبتكم وقناعتكم بالنقاش والأدلة فهذا أفضل.

* تعلَّموا أساليب التربية الناجحة، واقرأوا عن المراحل العمرية، وواكبوا مستجدات العصر، لتكونوا أقدر على التعامل مع ولدكم من موقع العارف الخبير، وليس من موقع المختزن للتجارب المحدودة أو المعارف القليلة، فإذا شعر بسعة اطلاعكم ووعيكم ودقة ملاحظاتكم وصوابيتها، ازداد تعلقاً بآرائكم، واستفاد من نصائحكم، وتعزَّز اهتمامه باستشارتكم في أغلب شؤونه.

* اعملوا على توحيد وجهات نظركم كأبوين، أو وزعوا الأدوار بينكما ضمن خطة مدروسة، فلا تتنازعوا أمامه على كل

شيء، ولا تكثروا من خلافاتكم الخاصة في المنزل، فإنه بذلك يفقد الثقة بقدرتكم على مساعدته.

الآن، نتوجه إلى الشاب والشابة، وقد اطلع كل واحد منكما على النصائح الموجهة لأهله، وتعرَّف على كيفية التعامل الأمثل معه. هذا لا يعني أن يحتجَّ أحدكما في جنوحه أو عناده أو تمرده على أهله بأنهم لا يطبقون هذه القواعد في تعاملهم معه، إذ عليه أن يعي ذاته ومتطلباتها، وأن يُحسن التعامل مع الصعوبات التي يواجهها، ليكون طبيباً يداوي نفسه، وحكيماً يحسُنُ فعله، لذا نذكر بعض التوجيهات التي تساعد على النمو المتوازن والبنَّاء عند الشباب:

* لا تنظر إلى أهلك بأنهم من الجيل القديم، وأنهم لا يفهمون ما تعانيه، ولا يعرفون بتطورات الزمان المعاصر. بل انظر إليهم من زاوية أنهم سبب وجودك في الحياة، فأبوك «**لولاه لم تكن**»، وأمك «**حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً**»، كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق، تعبوا وسهروا وبذلوا من أجلك، وأعطوك ثمرة حياتهم لتكبر ويشتد عودك.

* استمع إلى وجهة نظرهم ودقِّق فيها قبل أن ترفضها، إنهم يحبونك، ويقولون لك ما يعتقدون أنَّه لمصلحتك، ربما كان الأمر كذلك لو تأملت قليلاً، فلو لم يكن كذلك بحسب وجهة نظرك، تحدَّث معهم، وحاورهم، واعرض وجهة نظرك بكل لياقة وأخلاقية، ارفض وجهة نظرهم من دون استفزاز، فلو أصروا ولم يكن إصرارك إلا لرغبة عابرة، فلا تتأخر عن مسايرتهم احساناً لهم، فأمامك فرص

ورغبات كثيرة، يمكنك تحقيقها، ولن يتوقف الأمر على هذه المسألة، ولن تنهار حياتك بسبب هذا الموضوع.

* لا تضخِّم الأمور، فلا أحد يريد أن يتآمر عليك أو أن يعطِّل مستقبلك، ولا تتصرف على أساس أنهم أعداؤك، قد يخطئون في التصرف معك، ويختلفون فيما بينهم، فلا يصح أن تشعر بأنك الضحية، هم يحبونك ويريدون لك الخير، تحمَّل خطأهم فهذه تجربة لك وصقلٌ لشخصيتك، لن ينقص منك شيء إذا أخطأوا، وستكبر في عين الجميع إذا تصرفت من موقع المسؤول الذي يتحمل مسؤوليته ويتصرف بأخلاق وحكمة.

* من حقهم أن يشرفوا عليك ويتابعوا شؤونك ليطمئنوا إلى حمايتك ومستقبلك، ولكنك تنزعج من كثرة تدخلهم، أخبرهم بذلك بطريقة لطيفة، قل لهم بأنهم يتدخلون كثيراً وهذا ما يزعجك، وأنك قادر على أن تتصرف بشكل أفضل، وأنك تقبل نصائحهم وآراءهم، فإن لم يستجيبوا لك، لا تصرخ بوجههم، ولا تقلِّل من احترامهم، بل اعمل بهدوء من دون ضوضاء، فلا بدَّ أن تصل إلى ما تريد من دون توتر، فالقضية قضيتك، ومهما تدخَّلوا في حياتك لن يتمكنوا من امتلاكها، إذاً ما الداعي للمواجهة الحادة؟ لا أطلب منك أن تكون الأعقل الذي يتحمل كل المسؤولية، ولكن أطلب منك أن تتصرف بهدوء، فالأمور تمر بسرعة، وقد لا تكون محقاً، المهم أن تتقبل قدراً من إشرافهم، وتحسن الاختيار بعد أن تستكمل المعطيات الكافية.

* حاول أن تصادقهم بمبادرة منك، قل لهم بأنك تودُّ

استشارتهم، اطلب منهم أن ينصحوك في بعض خياراتك، أعلمهم بشؤونك العامة فلا تكن غامضاً، ولا تتعمَّد إخفاء كل شيء من دون حاجة إلى ذلك، ولا تدع إشكالاتك مع أخوتك تنعكس على علاقتك بوالديك، فليكن نظرك دائماً إلى الإيجابية والتعاون. انتبه لتعابيرك وقسمات وجهك، فلا تصرخ، ولا تحطم الأغراض، ولا تدفع الباب بقوة، ولا تتصرف بغضب يُخرجك عن طورك أو أدبك! لا شيء يستدعي ذلك مع أهلك، فستندم وتعتذر لكنك ستترك أثراً سيئاً. تُرى، ما الذي يستحق هذا التصرف الخاطئ؟ الأمور أبسط بكثير من أن توصلها إلى هذا التوتير الكبير، اهدأ، وتأمل، تمضي أمورك بيسر وسهولة.

* تريدُ حرية أكبر في المنزل، لكنَّك لستَ وحدك. بيتُكم صغير، وعليك أن تتعايش مع هذا الواقع الذي لا يمكنك تغييره، حاول أن يكون لك بعض الخصوصية، ولكن لا يحق لك أن تصادر خصوصيات أخوتك. تذكَّر أنك لا تملك شيئاً، فالبيت وما فيه لوالدك الذي ينفق عليك، وهذا ما يستلزم الشكر على النعمة، لا ترسم لنفسك حقوقاً ليست لك، فإذا اقتنعت بذلك وعرفت ما لك وما عليك، تستطيع أن تتقبل هذا الواقع، وتتصرف معه بمرونة. إذا لاحظت أن أهلك يميِّزون أخوتك عنك، فلا تتخذ موقفاً سلبياً، إذ ما قيمة هذا التمييز؟ وما انعكاساته؟ سوى بعض المكتسبات! أو قليلٌ من الاهتمام! ليست الفوارق كبيرة، ولا شيء ستخسره، فالمستقبل أمامك، ورزقك مقسوم من عند الله تعالى.

* من حقِّك أن تصادق بعض الزملاء، وأن تمارس بعض الهوايات، وأن تتسلى في أوقات الفراغ، وأن تعلم الحلال من الحرام، والخطأ من الصواب، ولكن لا تُقحم نفسك في الأخطاء لرغبة جامحة، أو تحدٍ من زملائك، أو مسايرة لأصدقائك، فكما ترغب باستقلال قرارك في البيت، فليكن كذلك في هذه المواقف. لن ينفعك أحد إذا هَوَيت، فأعمل لتحقيق رغباتك بالحدود المناسبة، ولا تقارن نفسك بمن انحرفوا، ولا تطلب ما يطلبونه، فالمهم ما تفعله أنت، وما يناسبك أنت. لاحظ بيئتك ومحيطك، استمع إلى ملاحظات أهلك بتأمل، واحذر من الدعايات والإعلانات والإعلام الذي يروِّج في كثير من الحالات لنزوات الشباب من دون ضوابط. لستَ كذلك، فلك عقلٌ واعٍ، وقلبٌ يحسب لربه حساباً، ومن حقك أن يكون مسارك الأفضل لمستقبل واعد. ليس محتماً على كل شاب أن يقع في الأخطاء الكثيرة والانحرافات المتكررة، يمكنك تقليلها إلى الحد الأقصى، فهذه مكرمةٌ تعرف قيمتها جيداً، بعد تخطيك لهذه المرحلة الحساسة من حياتك، عندما تكبر وتدرك أن ما زرعته نَفَعك.

٢ ـ العلاقة مع المدرسة

العلم مفتاح الحياة، والفرق كبير بين العالم والجاهل، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. يقضي

(١) سورة الزمر، من الآية : ٩.

الولد طفولته ومراهقته ومطلع شبابه في المدرسة وفق آلية التعليم المعاصر، ولا غنى عن هذه الطريقة، فهي الوحيدة المتاحة كي يخرج الإنسان من ظلمات الجهل، وينمي قدراته العقلية والعلمية، ويمتلك مهارات العمل لمواكبة متطلبات الحياة.

المدرسةُ انضباطٌ ومسؤولية وحساب وعقاب وامتحانات، المدرسةُ استهلاكٌ لوقت كبير في داخل صفوفها وخارجها لأداء الفروض واستيعاب الدروس، المدرسةُ استيقاظٌ باكر وروتين يومي وأعباءٌ تزداد يوماً بعد يوم، لكنها لمصلحتكما أيها الشاب والشابة.

* يزعجك بعض المعلمين الذين يقسون عليك، ولا يتعاطون معك بإيجابية، وتعتقد أنَّ بإمكانك تغيير سلوكهم معك بالعناد والفوضى وثقب دواليب سياراتهم!...أنت مخطئ، لأنهم سيعاقبونك، وتكون قد أسأت إلى أهلك، وسببت المشاكل من غير فائدة، وقد تخسر سنتك المدرسية. اذكر لأهلك ما يزعجك، أو اذكر لمربي صفك ما يزعجك، ربما أمكنهم لفت نظر هؤلاء المعلمين لتحسين أدائهم معك، أو قد تقنع والديك بتغيير مدرستك، لكن احسب حساباً بعدم ضمانة النتائج، فقد لا يتغير سلوك هؤلاء المعلمين، وقد لا ينقلك أهلك إلى مدرسة أخرى، بل إذا انتقلت فقد تواجه ما كنت تواجهه في مدرستك السابقة. ما العمل؟ أنتَ بحاجة إلى التعلم، ويجب أن تصبر، وتقوم بواجباتك على أكمل وجه، عندها تزيل الذرائع التي يزعجونك بسببها، واحصر اهتمامك بتحصيلك المدرسي، واعلم أن التفاوت في تصرف معلميك معك

أمر طبيعي، فلا تتوقع التصرفات المثالية، ولا تأمل بتعامل الجميع بطريقة حسنة معك.

* أنت تجد دروسك كثيرة وصعبة، إذاً لماذا ينجح زملاؤك بسهولة؟ اسألهم ماذا يفعلون؟ وكيف يدرسون؟ لا ترد الأمور إلى عجزك وضعف قدراتك، فإذا كنت مصراً على ذلك، اطلب من أهلك أن يعرضوك على مختص في دراسة الحالات التي تعاني من الصعوبات التعلمية لتحديد حالتك، وتقديم العلاج العملي المناسب لك. لكن لا تضعُف أمام الدرس، ولا تستعجل الحفظ والاستيعاب، إذ عليك أن تبذل الجهد المناسب لذلك بحسب قدرتك.

ليس أمامك أي خيار، عليك أن تبذل جهداً للانتباه في الصف، وأن تكتب واجباتك كلها في المنزل، وأن تستعين بأحدٍ عند حاجتك لانجاز ما عليك، وأن تدرس جيداً وتصرف الوقت الكافي للحفظ أو حل الأعمال أو تحليل الدروس أو القيام بالنشاطات المطلوبة منك.

* هذه فرصتك للتعلم، وما الذي تريد أن تفعله وأنت في هذه السن إن لم تتعلم؟ اشكر ربَّك أنك تتعلم في مدرسة، فكم من الأولاد في بلدك أو في العالم لم يتسنَّ لهم أن يلتحقوا بمدرسة، وهم يعانون من الأمية والجهل والفقر وصعوبات الحياة.

* نظِّم وقتك، فلديك المتسع للقيام بواجباتك المدرسية والذهاب بنزهة أو القيام ببعض هواياتك المحببة، لا تضيِّع وقتك أثناء الامتحانات، ولا تحوِّل هواياتك إلى احتراف على حساب

درسك، ولا تقارن نفسك بزملائك، فإذا استطاع أحدهم أن ينجز درسه بساعتين فقد تحتاج إلى ثلاث ساعات، هذا أمر طبيعي، فالتفاوت موجود في القدرات بين الأفراد، وربما كانت حاجتك للوقت الطويل بسبب عدم تركيزك في الصف، أو عدم استيعاب مواد الصف السابق، أو اختيار توقيت الدرس الخاطئ آخر الليل بعد أن أضعتَ زهوة الوقت المناسب لدرسك في اللعب، وقد تكون قدراتك أضعف، لكن يجب أن تنجز صفك بنجاح، فإن لم تتفوق فعلى الأقل اعمل على اجتياز هذا الصف.

* ترغب بالحصول على درجات عالية، وتبذل جهداً كبيراً، لكنك تُفاجأ بنجاحك العادي وتفوق زملائك عليك، فتِّش عن الأسباب، واستعن بمعلميك وأهلك ليشخصوا معك الأسباب تمهيداً للتخلص من هذه المشكلة. لكن، ابقِ طموحك قائماً، فمع اصرارك وسعيك لا بدَّ أن تتفوق، إن لم يكن في هذا العام أو الذي بعده ففي العام الثالث، وإذا لم تتوفق أيضاً فقد قمتَ بما عليك، فلا تيأس ولا تعشِ الاحباط، لأنك عندما عشت طموحك فقد فكرت بطريقة سليمة، وهذا يكفي. قد تكون قدراتك محدودة، المهم أنك نجحت، وأنك تملك الحافز للاستمرار والنجاح. واعلم أنَّه في كثير من الأحيان يختلف وضع التلميذ بين مرحلة دراسية وأخرى، فبينما يكون متعثراً في الصفوف الأولى نجده متفوقاً في الصفوف العليا، ربما كان وضعك كذلك، المهم أن تقتنع بأنك تبذل جهدك، ثم توكَّل على الله تعالى.

* رسبتَ مرة في الامتحان، واضطررتَ أن تعيد صفك، فما المشكلة؟ المهم أن لا تتوقف، نعم، الأفضل أن تنجح باستمرار، لكن ربما مررتَ بانتكاسة لأي سببٍ من الأسباب، لا تستسلم ولا تتوقف. لا زلت صغيراً في السن، وستكتشف أنَّ هذه السنة التي صبرت عليها ثم تجاوزتها قد ساعدتك في بناء حياتك نحو الأفضل.

* مناهجنا التعليمية فيها حشوٌ كبير، وبعض المواد لا علاقة لها بالحياة، وبعضٌ لا تستطيع هضمه ولا استيعابه، اصبر على كل شيء، فالدرس بناء، والبناء رحلة شاقة طويلة ومعقَّدة، تسهل عليك بالمثابرة والنجاح، وتعتاد عليها تدريجياً، فلا تبدأ بالمشاكسة وكأنك وحدك الذي يتعرض لهذه المصاعب، انظر إلى زملائك ومن هم في عمرك في مختلف أنحاء العالم، أغلبهم يفكِّر كما تفكِّر، لكن يزول كل شيء عندما تصمِّم وتنجح، فتأنس بالنجاحات التي تحققها، والثمار التي تحصل عليها نتيجة درسك.

٣ ـ العلاقة مع المجتمع

يبدأ الشاب أو الشابة بالخطوات الأولى للتفاعل الاجتماعي، فيميل إلى الاندماج مع الأصدقاء ويرغب أن يكون جزءاً منهم، ولا يحب العزلة، ثم يتبلور موقفه تدريجياً من عالم الكبار، ليحدِّد ميوله واتجاهه إزاء الشؤون السياسية والاجتماعية.

ينشأ عن العلاقة مع المجتمع بتنوعاته سلسلة من الأسئلة أو العقبات، تختلف من شخصٍ لآخر في تفاصيلها، لكنها خطوات

طبيعية ليأخذ الشاب مكانه وموقعه في العالم الجديد، عالم الكبار والمجتمع. ومن المفيد الإشارة إلى جملة ملاحظات تساعد على الانتقال المريح من الطفولة المحصورة في عالمها الضيق، إلى المراهقة والشباب الذي يتطلع إلى الدور وتحقيق الأهداف في داخل المجتمع:

* من الطبيعي أن ينظر الناس إلى الشاب الجديد الوافد إلى المجتمع، وإلى الشابة القادمة إلى الحياة الأوسع، نظرة المتفحص لهذا العنصر الجديد، حيث ينظرون إليه بأنَّه قليل التجربة والخبرة، وما زال في مقتبل العمر، لا يدرك كل أبعاد الأمور، ما يزعجه في غالب الأحيان، لاعتداده بنفسه، وشعوره بأنهم يبخسونه حقه بنظرتهم إليه، وأنهم يتعاملون معه بدونية! هذه النظرة خاطئة ومبالغٌ فيها، خاصة إذا برزتْ له آراءٌ ومواقف وتعابير مقنعة ومتينة تدل على سعة اطلاعه، أو بدا من سلوكه نضجٌ مميز بما راكمه من علم وتجربة لم يراكمها غيره لسنوات طويلة، مع ذلك ليس مهماً ما يقيِّمونه به في هذه اللحظة، فالمستقبل واعدٌ أمامه، وهو أمام تغيرات كثيرة وسريعة يلاحظها كل مراقب، عند من اهتمَّ بتنمية قدراته، وتابع تحصيله العلمي، وراكم خبراته من خلال علاقاته ونشاطاته التي يقوم بها.

* لا تُبعد نفسك عن الآخرين، ولا تخجل بإبداء رأيك بالحدود التي تعرفها، ولو في حالات محدودة بين من تجتمع معهم، ولا تبق مستمعاً دائماً، بل خطط لتكون مشاركاً. ولكن لا تتسرع

أيضاً، ولا تتكلم كثيراً وتدَّعي معرفتك بكل شيء، والتفت إلى أن من يحيطون بك يمتلكون قدرات ومعلومات يستطيعون من خلالها تقييم قدراتك. ليكن اهتمامك بالاندماج المجتمعي حافزاً على اختلاطك بالجماعة والأقارب والمنتديات، فهذا ما يوسِّع من آفاقك، ويساعدك على التدرج في التفاعل مع محيطك، بما ينسجم مع سنك وقدراتك، بل ورغبتك الحقيقية في الاندماج الاجتماعي.

* أنت بحاجة إلى تشكيل رأيك في القضايا التي تحيط بك، عليك أن تتعرف على تركيبة بلدك، وطبيعة المواقف الأساسية بين الفئات والقوى المختلفة، وأن تحدِّد موقفك منها. اعرف من هم أعداء بلدك؟ وما هي الأخطار التي تحيط به؟ وكيف تساهم في حمايته منهم؟ وما هو دورك في بنائه مستقلاً عزيزاً؟

* حدِّد نظرتك إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية السليمة، ورأيك في دور الشباب ومكانتهم في المجتمع، وموقعك الذي تطمح إليه في المستقبل. من المفيد أن تعرِف أسس الصلاح والفساد، والمناسب وغير المناسب، وأن تشكِّل نظرتك إلى العلاقات الناجحة مع الأقرباء والأصدقاء، ورؤيتك إلى كيفية نجاح الشباب واستفادتهم من طاقاتهم وقوة اندفاعهم.

* ما هي السلوكيات الملائمة؟ ما هو رأيك بالصدق والكذب، بالخدمة الاجتماعية ومساعدة الفقراء، والعمل التطوعي؟ ما هي نظرتك إلى البناء الروحي والأخلاقي وكيفية تنمية البنية الجسدية؟

إعلم أن الأنسان لا يتكامل إلَّا إذا كان متوازناً في إعطاء كل جوانب شخصيته حقها، فلا يهتم فقط بقوة جسده وصحته وشكله ورشاقته، بل يتعداه للاهتمام بتنمية ثقافته واطلاعه، وذلك بالاهتمام بالمطالعة لبعض الكتب والمجلات والصحف بالقدر المتيسر مع ظروفه، والاهتمام بتقوية علاقته الروحية مع الله من خلال العبادات، والمشاركة في أجواء التعبئة الروحية في الصوم وعاشوراء، والاقتداء بالقادة الأعلام القدوة عبر التاريخ وعلى رأسهم النبي الأكرم محمدﷺ والأئمة الأطهارعليهم السلام، والحرص على تنمية الحس الاجتماعي معتنياً بسلوكيات التخاطب واللياقة والأخلاق الفاضلة.

* بدأ دورك يتشكَّل، فلا تكن عنيداً وعدائياً وعنيفاً وقاسياً، لأنَّ الجميع ينبذك ويتجنبك بوجود هذه الصفات. كن محاوراً، مستمعاً للرأي الآخر، متقبلاً للاختلاف، موضحاً لوجهة نظرك بالأدلة. لك أن تختار صداقة من يعجبك، وتتجنب من لا تنسجم معه، فلست مجبراً على شيء، فلا تقحم نفسك في المكان الخطأ، ولا يضيق صدرك بالتكتلات التي لا تعجبك، شارك في التكتل الذي يناسبك، ومع الأصدقاء الذين يحملون قناعاتك.

* لست بحاجة لأن تتصنَّع الأمور، أو أن تتباهى لتتفوق، فهذا الطريق مقيت، ولا يُكسبك شيئاً. تصرَّف بواقعية بحسب قدراتك وإمكاناتك، فلكلٍ محله في هذا المجتمع، ولك من يحبك ويؤمن بك مهما كانت صفاتك.

* بلْوِر قناعاتك بصبرٍ وتأنٍ، ولا تندفع بسرعة إلى أي موقف،

لتستفيد من وقتك وإمكاناتك. لا تستعجل الحكم على الأشخاص أو القضايا، حاول أن تستجمع المعلومات والمعطيات، كي لا تكثر أخطاؤك ومواقفك في تقييمك للأمور.

* لكل شيء أوان، فالفاكهة تنضج في أوانها بعد توفير العوامل الطبيعية المناسبة لذلك، وأنت تنضج في أوانك بتوفير المقومات المناسبة لتنمية قدراتك.

* انتبه، لقواعد التعامل الاجتماعي الناجح، فوقِّر الكبير وارحم الصغير، وقدِّر معلمك وتضحياته، وأحسن إلى والديك، وصل رحمك، وأعِنْ أصدقاءك في السر والعلن، وكنْ إلى جانبهم في الحزن والفرح، وشارك مع الجماعة في النشاطات العامة، السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية، واختر الأنشطة التي تنمِّي علاقاتك الاجتماعية ودورك. لا تنعزل، ولا تجعل نفسك هامشياً بين أقرانك.

* حيويتك لا تعني الطيش ولا انعدام المسؤولية، بل هي نعمة من الله تعالى عليك فاستفد منها مع الجماعة. قيمةُ طاقاتك التي أودعها الله تعالى فيك أن تتفجر خيراً في المجتمع، فلا تستخِف بقدراتك، ولا تستهتر بسمعتك وشخصيتك. لا أدعوك إلى الجدِّية المبالغ فيها بل إلى الرصانة، ولا أدعوك إلى الجمود بل إلى المرح اللطيف والحركة المحببة والسلوك اللائق والتصرفات المقبولة. لستَ وحيداً في صحراء قاحلة، فما تقوله وتفعله يؤثر في الآخرين، فاحرص على أن تقول وتفعل ما تحب أن يقوله لك الآخرون ويفعلونه.

الفصل الخامس

التعامل مع الغريزة الجنسية

النقطة الأساس في مرحلة المراهقة والتي نعبر عنها بتفتح الغريزة الجنسية أثناء البلوغ وما بعده، كنتيجة طبيعية لنمو الجسد عند الشاب والشابة، لا تعتبر سبباً طبيعياً للانحراف.

عالج الإسلام متطلبات الغريزة بتشريع الزواج، وحثَّ على الزواج في سن مبكرة، لكنَّ الظروف الاجتماعية والمادية تحول في أغلب الأحيان دون تحقيق الزواج المبكر، ما يعني مرور سنوات من المراهقة تتحرك فيها الغريزة من دون حلٍّ فعلي، فما هي سبل المعالجة؟ وهل يكون كل من الشاب والشابة معذورين فيما يفعلانه بجسديهما أو مع الجنس الآخر خارج دائرة الزواج المشروع؟

تعاطى الإسلام مع السلوك البشري على أنَّه نتيجة التربية والتوجيه والقواعد التي يختارها الإنسان ويتبناها في حياته ليسير وفقها. فأحاط الشباب بمجموعة من التوجيهات التي تحصنهم وتساعدهم على اجتياز مرحلة المراهقة بنجاح، نذكر منها:

١ ـ تثبيت الإيمان بالله تعالى عند الشباب

لما للإيمان من أثرٍ في عبادة الشاب لربه، وقوةِ حمايةٍ ضد إغراءات الشيطان، وقدرةٍ تعبوية لتغذية الروح لتصبح أقوى من

اندفاعه الجسدي وقادرةً على ضبطه، وحسمٍ لاختيار منهج الإسلام بأوامره ونواهيه التي تحصِّن الشاب. للإيمان آثارٌ عظيمة في قبول الله تعالى للشاب العابد حيث يظله يوم القيامة برحمته ومغفرته، ويحميه من العذاب، ويدخله الجنة، فهو أحد السبعة المشمولين بظل الله الحامي في يوم القيامة. ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: **«سبعة يظلهم الله عزَّ وجل في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه:**

إمامٌ عادل،

وشابٌ نشأ في عبادة الله عزَّ وجل،

ورجلٌ قلبه متعلقٌ بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه،

ورجلان كانا في طاعة الله عزَّ وجل فاجتمعا على ذلك وتفرَّقا،

ورجلٌ ذكرَ الله عزَّ وجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله عزَّ وجل،

ورجلٌ دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال: إني أخاف الله عزَّ وجل،

ورجلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما يتصدق بيمينه»[(١)].

يُترجم الإيمان بالله التزاماً بالعبادات كالصلاة والصوم وغيرهما، فتتعزز الصلة بالله بشكل دائم، فيصبح الشاب العابد متميزاً بطاعته منتهياً عن معاصيه، فعن رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى يُباهي بالشاب العابد الملائكة، يقول: انظروا إلى عبدي، ترك شهوته من أجلي»**[(٢)].

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:٣٤٣.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٥، ص:٧٧٦.

بل يتحول الإيمان إلى إفناء للنفس في طاعة الله تعالى، بحيث لا يقف أي شيء حائلاً دونه، وفي مثل هذا المقام يتحكم الشاب بشهوته ولا تتحكم به، ويُسيِّر غرائزه ولا تُسيِّره، وهو بذلك يعيش الرقابة الإلهية الدائمة ويستحق مقام الحب الإلهي. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب الشاب الذي يُفني شبابه في طاعة الله تعالى**»[(١)].

وعنه ﷺ: «**إنَّ أحبَّ الخلائق إلى الله عزَّ وجل، شابٌ حدث السن، في صورة حسنة، جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته، ذلك الذي يباهي به الرحمن ملائكته، يقول: هذا عبدي حقاً**»[(٢)].

وعنه ﷺ: «**ما من شاب يَدَع لله الدنيا ولهوها، وأهرم شبابه في طاعة الله، إلَّا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقاً**»[(٣)].

٢ ـ غض البصر

وذلك بتجنب التأمل والنظر إلى جسد الجنس الآخر، خاصة تلك النظرات المحرَّمة التي تلاحق المفاتن، والأفلام الخلاعية، والصور الفاضحة، واللباس غير المحتشم...فإنَّ الصور التي تلتقطها العينان، ثم تنتقل إلى الدماغ، تتحول إلى مثيرات للشهوة، وتحرك سكونها، ما يوقع الإنسان في أزمة التحريك والإثارة المحرمة التي

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٥، ص: ٧٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١٥، ص: ٧٨٥.

(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص: ٥٣٥.

قد تؤدي إلى حرام آخر. لذا سدَّ الإسلام باب النظر المحرَّم، فدعا إلى غض البصر عند الجنسين. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**فرض الله على البصر أن لا ينظر إلى ما حرَّم الله عليه، وأن يُعرض عما نهى الله عنه، مما لا يحلُّ له، وهو عمله، وهو من الإيمان**»(٢).

النظرة الحرام سببٌ للتعب والفساد والحسرة في الدنيا، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من أطلق ناظره أتعب خاطره، من تتابعت لحظاته دامت حسراته**»(٣)، وقال النبي عيسى عليه السلام: «**إياكم والنظر إلى المحذورات، فإنَّه بذر الشهوات، ونبات الفسق**»(٤). وقال الإمام

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ٣٥.
(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٤، ص: ٢٦٨.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٦٩.

الصادق عليه السلام: **«النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة»**(١).

إنَّ نتيجة النظرة المحرَّمة العقاب في الآخرة، فضلاً عمَّا لها من آثار في الدنيا. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من ملأ عينه من حرام، ملأ الله عينه يوم القيامة من النار، إلَّا أن يتوب ويرجع»**(٢).

أمَّا نتيجة غض البصر فتذوُّق حلاوة الإيمان، والتفاعلُ مع عظمة وجلال الله تعالى، ما يؤدي إلى سعادةٍ في القلب، واطمئنانٍ على المستوى النفسي، وسيطرةٍ على الجسد، فضلاً عن ثواب الطاعة في الآخرة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«النظرة سهم مسموم من سهام ابليس، فمن تركها خوفاً من الله، أعطاه إيماناً يجدُ حلاوته في قلبه»**(٣)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: **«ما اغتنم أحدٌ بمثل ما اغتنم بغض البصر، فإنَّ البصر لا يغض عن محارم الله إلَّا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال»**(٤).

٣ ـ الستر الشرعي حماية مجتمعية

الستر الشرعي للمرأة يحجب جسدها عن الرجال من غير المحارم، وبهذا الستر تتشكل الحماية المجتمعية من الجانبين:

* **جانب الشابة:** حيث يحجب الستر الشرعي مفاتنها، فاذا

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص: ١٨.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٣، ص: ٣٣٤.
(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٤، ص: ٢٦٩.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٦٨.

أضفنا إليه حرمة الزينة، ومنها: اختيار الألوان الجذّابة التي تبطل مفعول الستر الشرعي، وحرمة وضع العطور التي تفوح رائحتها وتلفت أنظار الرجال، وحرمة الضرب بالأرجل والخلخال الذي يشدُّ انتباه الشباب إلى الشابة المارّة بقربهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١]. فإن التزام الشابة بهذه الحدود، يساعدها على لجم رغبتها في إبراز جمالها وزينتها أمام الشبان، وحصر ذلك بشاب واحد هو زوجها، حيث يتاح لها أن تبرز له جمالها وزينتها في أقصى مداهما، كما يجوز لها إبرازهما أمام النساء والمحارم من الرجال في حدودهما اللائقة.

لا تخسر الشابة حق تعبيرها الفطري عن جمالها بل توجّهه بما ينفعها، ولا تُحرم من رغبتها في الزينة بل تستخدمها بما لا يؤدي إلى الفتنة والانحراف. وبما أنها ستكون لرجل واحد، فما هي الفائدة من عرض مفاتنها أمام كل الرجال؟! الَّا يُحدث الأمر رغبة عندها في أن ينظر الرجال إليها؟ لماذا؟ وما هي النتيجة؟ إلا يجعل هذا التصرف بعض الفتيات عرضة للإغواء وعدم الرضا القلبي بالتَّقيد برجل واحد؟

الحجاب عونٌ لها، وحماية شخصية ونفسية وتربوية وسلوكية في وسطها الاجتماعي، يساعدها على تعزيز استقامتها واستقرارها في الطريق الصحيح.

---

(١) سورة النور، من الآية: ٣١.

* **جانب الشباب**: الستر الشرعي للمرأة يخفِّف من عوامل الانجذاب الجسدي إليها، ويشكل إعلاناً صريحاً عن الممنوع، ويقلِّل من المؤثرات الخارجية على الغريزة الجنسية عند الشاب. فحجاب المرأة عونٌ للشاب لتقليل فرص إثارة الشهوة لديه بطريقة عبثية، وتوجيهٌ له ليتعامل مع الانثى من الموقع الإنساني العام، فإذا أرادها زوجة له، سلك السبيل الجدي الذي يؤدي إلى الزواج..

لا يمنع الحجاب الشاب من متطلباته الغريزية، بل يوجهه إلى طريق الزواج بدل العبثية والتسلية وعدم تحمل المسؤولية، فالشابة محتشمة، ولا مجال للّهو أو الاستخفاف بمشاعرها ومطالبها وحقوقها. فالحجاب منظِّمٌ للعلاقات الإنسانية، في إطارٍ من سلامة النظرة وأخلاقيتها تجاه الآخر.

نظم الإسلام العلاقة بين الرجال والنساء في المجتمع بطريقة إنسانية تخلو من العبثية وإثارة الغرائز، ونظمها بين الزوجين بكل ما تستلزمه خصوصيات الذكورة والأنوثة لتتأمن كل مستلزمات الفطرة في إطار الزوجية. فالمرأة أنثى لزوجها وإنسانة في مجتمعها، والرجل ذَكَرٌ مع زوجته وإنسان في مجتمعه.

٤ ـ تجنب الاختلاط والاختلاء بين الجنسين

لأنَّ الانجذاب بين الجنسين سريع، ففي سن الشباب يميل الشاب إلى الفتاة، وترغب الشابة بأن تلفت نظرات الشاب إليها، فمع اللقاء والمسامرة والسلام والكلام ترتفع الحواجز النفسية تدريجياً، ثم يبدأ الميل العاطفي الذي يتحول إلى رغبة في التفاعل بينهما،

وهذا ما يؤدي إلى تحريك الغريزة، فمع عدم تيسر تصريفها بالحلال، قد تدفع بصاحبها إلى الحرام. لذا نجد الإسلام قد عمل على التحصين بسدِّ الأبواب التفصيلية الخارجية التي تورِّط صاحبها في تحريك غريزته، من أجل منع هذه المؤثرات الخارجية من أنْ تزيد من متطلبات الغريزة، أو أنْ تدفع باتجاه الحرام.

وبما أن الاختلاء بين الشاب والشابة يهيئ الأجواء لاحتمال الحرام، بسبب ما يتعامل في النفس من رغبة غريزية، وما تشجع عليه تلك الأجواء للاندفاع نحو هذه الرغبة، فقد نهت الروايات عنه. قال رسول الله ﷺ: **«لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة، فإنَّ ثالثهما الشيطان»**[(١)]. وروي أن إبليس أوصى موسى عليه السلام بثلاث خصال إحداها: **«لا تخلُ بامرأة، ولا تخلُ بكَ، فإنَّه لا يخلو رجلٌ بامرأة ولا تخلو به إلَّا كنتُ صاحبه دون أصحابي»**[(٢)]. وفي رواية أخرى عن إبليس: **«لا أغيب عن العبد في ثلاثة مواضع: إذا همَّ بصدقة، وإذا خلا بامرأة، وعند الموت»**[(٣)].

بل حرَّم أي احتكاك يشكِّل بداية لعلاقة حميمة من دون حواجز، فحرَّم المصافحة بين الجنسين، عن رسول الله ﷺ: **«من صافح امرأة تُحرم عليه، فقد باء بسخط من الله عزَّ وجل»**[(٤)]، وشدَّد

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل،ج١٤، ص: ٢٦٦.
(٢) الشيخ المفيد، الأمالي، ص: ١٥٧.
(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٤، ص:٢٦٥.
(٤) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه،ج٤، ص:١٤.

على النهي عن المصافحة متوعداً بعقاب قاس، قال رسول الله ﷺ: **«ومن صافح امرأة حراماً، جاء يوم القيامة مغلولاً، ثم يؤمر به إلى النّار»**[١].

٥ ـ حسن اختيار الصحبة

تشتد الحاجة إلى الصحبة في مرحلة الشباب، ويرغب الشاب القيام بنشاطاته المختلفة بصحبة أقرانه، كما يتحدث معهم بشؤونه وشجونه، ويستشيرهم فيما يفكر فيه ويريد عمله. فإذا كان الصاحب مؤمناً خلوقاً أميناً مستقيماً، ساعد صاحبه وأحسن توجيهه وأخذ بيده نحو الاستقامة، وإذا كان الصاحب فاسداً متهوراً فوضوياً مادياً، ورَّط صاحبه في المنكرات والأخطاء وأودى به إلى الهاوية. فالصاحب السيء يؤثر سلباً على صاحبه، بسبب تركيز اهتماماته على اللهو والشهوات والملذات وملاحقة الجنس الآخر، وانغماسه في تحريك غرائزه.

إنَّ مساوئ الصحبة السيئة لا يمكن تعويضها بعد فوات الأوان، فالمرارة التي يشعر بها من ظَلَمَ نفسه بسوء اختيار صحبته عند الحساب في يوم القيامة، لا تنقذه مما هو فيه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[٢].

---

(١) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص:٢٨٣.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

يكون اختيار الصاحب الجيد على أساس مواصفاته الشخصية الجيدة، فلا ينخدع المرء بعبارات الحب والإطراء، ولا بالاهتمام والمساعدة في بعض الحالات، بل بشخصية هذا الصاحب مضموناً وسلوكاً لأنها ستؤثر عليه. قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»(١). وفي ردِّه على من سأله: أي الأصحاب أفضل؟ قال ﷺ: **«من إذا ذكرتَ أعانك، وإذا نسيتَ ذكَّرك»**(٢).

وفي حديث مفصَّل عن مواصفات الصاحب المناسب والمعين للطاعة والاستقامة، قال الإمام الحسن عليه السلام: **«إذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدَّق قولك، وأن صُلتَ شدَّ صولك، وإن مددت يدك بفضلٍ مدَّها، وإن بدت منك ثلمة سدَّها، وإن رأى منك حسنة عدَّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتدأك، وإن نزلت بك احدى الملمات واساك. من لا يأتيك منه البوائق، ولا يختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقَسماً آثرك»**(٣).

٦ ـ الاستفادة من طاقة الشباب

الشاب في مقتبل العمر مفعم بالحيوية والطاقة، فإذا توجَّهت

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص: ٥١٨.
(٢) الحرَّاني، تحف العقول، ص: ٣٥.
(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٨، ص: ٢١١.

هذه الطاقة بشكل صحيح، تمَّ استثمارها والاستفادة منها لمصلحة الشاب والمجتمع. وقد وجَّهنا رسول الله ﷺ للاستفادة من الإمكانات التي أنعم الله تعالى بها علينا، فقال لأبي ذر: «**يا أبا ذر، اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»(١). إذ أن كل واحدة من هذه المقومات تستدعي اهتماماً ومتابعة، وما ينتج عنها تابع للتوجيه والإرادة الحرة التي يمتلكها الشاب في أوج حيويته.

لقد كان الشباب هم الأسرع إلى الإيمان بدين الله في كل مراحل الدعوة إلى الله تعالى، في مكة والمدينة، وفي عصور الإسلام المختلفة، وفي زماننا الحاضر.

روي أنَّ الإمام الصادق عليه السلام خاطب أحد أصحابه وهو أبو جعفر الأحول سائلاً إياه: «**أتيت البصرة؟**

فقال: نعم.

قال: كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟

قال: والله إنَّهم لقليل، ولقد فعلوا، وإن ذلك لقليل.

فقال عليه السلام: عليك بالأحداث، فإنَّهم أسرع إلى كل خير(٢).

إذا لم تجد حيويةُ الشاب مجالاً لتصريفها، فسينغمس في

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص:٥٢٦.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٨، ص:٩٣.

وسوساته وغرائزه، أمَّا إذا أحسن استغلال طاقته حيث ينفع وينتفع، فسيكون بذلك قد نجح في توجيهها، وهذا ما يصرفه عن إلحاح الملذات الجسدية. عليه أن ينتبه إلى المرض القاتل وهو وقت الفراغ، وهو وقتٌ ليس بالقليل، ففي دراسة أجرتها نهار الشباب، في استطلاع رأي شمل ٤٠٠ شاب وشابة من الجامعيين،«تبين أنَّ أوقات الفراغ عند الشباب الجامعي بنسبة ٤٣٪ من ساعة إلى ثلاث ساعات يومياً، وبنسبة ٣٩٪ من أربع إلى سبع ساعات يومياً، وأن ١٨٪ يتجاوز الساعات السبع يومياً»[(١)]، فما لم يكن الشاب (أو الشابة) منشغلاً بالعلم والعمل، والعلاقات الاجتماعية، والرياضة، والمطالعة، والتسلية المشروعة، والالتحاق ببعض النوادي، والبرامج المتنوعة، التي تنسجم مع أهدافه، فسيكون وحيداً مع نفسه، عندها تنازعه هذه النفس، وتضج طاقته الجسدية وصحته الممنوحة له، ويكون تصدِّيه لنداءات الوحدة أصعب بكثير مما لو استفاد من وقت الفراغ بالشكل الصحيح. فليحذر الشاب والشابة من فتنة الصحة والعافية، وفتنة الفراغ وخواطره القاتلة، عن رسول الله ﷺ: **«خلَّتان كثير من الناس فيهما مفتون: الصحة والفراغ»**[(٢)].

إنَّ الاندماج الاجتماعي في النشاطات العامة الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية يساهم بشكل كبير في صقل شخصية الشاب، فالأجواء التي يعيشها مع الجماعة في المسجد أو الندوة أو النادي أو

---

(١) صحيفة «نهار الشباب» ٩/٣/١٩٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٢.

التظاهرة أو الجامعة أو الدعاء أو عاشوراء ...، تساعده لينهل منها، ويتأثر بها عقلياً ونفسياً، وتندرج تحت عنوان الاستفادة من وقته وطاقته، وهي ضرورية من زوايا مختلفة.

٧ ـ مخالفة الهوى

الشباب محطةُ بناءٍ للشخصية، عقلياً وعاطفياً، علمياً واجتماعياً، فيها تتكون الرؤية المتكاملة تدريجياً للمنهج الذي سيتبناه الشاب في حياته، حيث يتحدَّد على أساسه سلوكه في المجالات المختلفة. من هنا فإنَّ من الأهمية بمكان أن يعتاد الموقف المستند إلى المنهج السليم، وأن يدافع عنه، وأن تتبلور شخصيته القادرة على الثبات في مواجهة التحديات.

إنَّ نقطة الانطلاق الأهم في التربية، والسر المحوري للهداية في مواجهة الضلال، مخالفةُ الهوى والرغبات المنحرفة. وهل بإمكان الشاب ذلك؟ نعم، بإمكانه ذلك، فهو الذي يصبر على التعلم في صغره وشبابه ليحصل على الشهادة ويتهيأ للعمل، وهو الذي يصبر على صعوبات الحياة التي يواجهها مع والديه داخل أسرته، وهو الذي يرغب بأمور كثيرة يراها عند أقرانه ولا تتحقق له فيصبر عليها ويتحمل. إنَّ قدراته الكامنة تعينه على الصبر في كثير من الأمور، وبالتالي فهو قادر على الصبر في مواجهة هواه، إذا بنى موقفه على الالتزام بهذا المنهج. في مخالفة الهوى صبرٌ، لكنَّ نتيجتها اللذة الحقيقية الدائمة والسعادة، في مخالفة الهوى معاناةٌ في بداية الأمر، لكن سرعان ما يعتاد ويتجاوز المعاناة بما يحصل عليه

من ثمار. فإذا عوَّدنا ودرَّبنا الشاب على السهولة والانزلاق واتباع الشهوات، انغمس فيها وانحرف وخسر الخسران المبين، أمَّا إذا عودناه على الطاعة لله تعالى ومواجهة الشهوات وأعناه على ذلك، فسيرتقي وينجز الأمور العظيمة والمفيدة.

إنَّ هوى النفس هو المشكلة المركزية، فالهوى هو الرغبة التي تشدك إلى المنكرات والمحرمات، الرغبة التي تندفع من خلالها من دون قيد أو ضوابط، الرغبة التي تدفع جسدك ليسير نحو ملذاته من دون هداية، وتعطل عقلك عن التفكير بعواقب الأمور، وتحجزك عن التمييز بين الخطأ والصواب، الرغبة التي تؤنسك في لحظتها وتشدُّك إليها، ثم تبقى آثارها وعواقبها بعد أن تحقق هذه اللحظة العابرة. إنَّ أخطر ما في الرغبة أنها تُضعفُ إرادتك بشكل تدريجي، فقد تتأمل في البداية، وتعيش صراع الضمير والذات، لكنَّك تألف بعد ذلك الانسياق وراء اللذة من دون رادع، وكأنها سياق طبيعي ومألوف، لا يهتزُّ لك معها ضمير، ولا يردعك عن الفعل رادع، بل تشعر تجاهها وكأنك مسلوب الإرادة.

لا يخفى إغراء زينة الدنيا لهوى النفس، فالزينة مظهر للجمال والجاذبية، والهوى ينجذب إليها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾(١)، ولكنها زينةٌ بجمالٍ ظاهري

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

خدَّاع، زينة تحقق متاعاً دنيوياً يحاسب الإنسان عليه، وهي تؤثر في تحديد مقام الإنسان وقيمته العملية، فإذا انجذب إليها كان من الذين يؤثرون الحياة الدنيا الفانية، وإذا امتنع عنها طاعة لله تعالى فقد ربح دنياه بالاستقامة فيها، وربح آخرته بالثواب فيها.

يجب التمييز بين الحلال والحرام، فليس كل جمال مرفوض، وليست كل زينة مستنكرة، فالجمال المرفوض هو الجمال الظاهري الذي يستبطن المنكرات والشهوات والمحرمات، والزينة المستنكرة هي الزينة المخادعة التي تجعل الإنسان عبداً للمال والثروة من دون الله تعالى. لاحظ خطاب الله تعالى لنبيه محمدﷺ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١)، فالزينة هنا محلَّلة لأنها تستبطن الخير، ومعها الطيبات المحلَّلة من الرزق التي يأنس بها الإنسان، مقابل الأمور الخبيثة التي تبدو في ظاهرها انها طيبة، فاحصر أيها الشاب انجذابك بالزينة المحللة والطيبات من الرزق، فهذه الأمور لا تندرج في هوى النفس المستنكر، لأنَّها مما سخَّره الله للإنسان ليأنس به في دنياه.

تأمَّل قبل أن تصدر حكمك وتقرر اختيارك، فإذا كانت الزينة محلَّلة أَقْبِل عليها، وإذا كانت محرَّمة اجتنبها، ولا تندفع في إيثار الحياة الدنيا كيفما كانت، كي لا يجرُّك هوى نفسك نحو الحرام.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

كيف يكون حُسنُ الاختيار؟ كيف نميِّز بين اللَّذة المحللة واللَّذة المحرمة؟ بين الزينة الحلال والزينة الحرام؟ كيف نتجنب هوى النفس لمصلحة استقامة النفس؟

الحلُّ مذكورٌ في الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[١]، مفتاحه الأساسي موجود في الإنسان وقدرته ومستوى خلقه في أحسن تقويم، الذي يخسر ما لديه فينزلق إلى الأسفل بسوء اختياره، ويرتفع إلى الأرقى بحسن اختياره، مستفيداً من أحسن التقويم بالإيمان والعمل الصالح. فمع الإيمان يحسم الإنسان خياره، ويتلقى كل التوجيهات المناسبة للتمييز بين السليم والخاطئ، ويريح نفسه من الصراع الشخصي أمام وقائع الحياة، ليس مضطراً ليعتمد على نفسه وعقله في تحليل كل زينة أو عمل، فقد أراحته الشريعة المقدسة في تحديد الواجبات والمحللات والمحرمات، ما يساعده على أن يرى موقع هذه اللذة في الشريعة، فإذا كانت موافقة للشريعة، يكون اختيارها على الطريق السليم، ومعه أجر غير مقطوع ومستمر في الآخرة أيضاً، وإذا كانت مُخالفة للشريعة، يكون اختيارها سيئاً، مع ما يصاحب ذلك من عواقب دنيوية وأخروية.

إذا وضع الشاب أمامه مرضاة الله وكسب الآخرة، هانت عليه الأمور، بل عذُبت بالطاعات. فلينظر إلى النتائج، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن

(١) سورة التين، الآيات: ٤ ـ ٦.

طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[(١)].

وعن رسول الله ﷺ: «**من ترك معصية الله مخافة الله تبارك وتعالى، أرضاه الله يوم القيامة**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**من عرضت له فاحشة أو شهوة، فاجتنبها من مخافة الله عزَّ وجل، حرَّم الله عليه النار، وآمنه من الفزع الأكبر، وأنجز له ما وعده في كتابه، في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾. ألا ومن عرضت له دنيا وآخرة، فاختار الدنيا على الآخرة، لقي الله يوم القيامة وليست له حسنة يتقي بها النار، ومن اختار الآخرة على الدنيا، رضي الله عنه وغفر مساوئ عمله، ومن ملأ عينه من حرام، ملأ الله عينه يوم القيامة من النار، إلَّا أن يتوب ويرجع**»[(٣)].

عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، قل: «**من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول، ويعلم ما يعمله من خير أو شر، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى**»[(٤)].

إنَّ نتاج اتباع الهوى أو مخالفته، دنيوية وأخروية، فالآثار إيجابية لمن خالف هواه فيما رزقه الله تعالى إياه من الخيرات، وهي سلبية

---

(١) سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٤١.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص:٨١.
(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص:٥١٤.
(٤) المصدر نفسه، ص:٧٠.

لمن اتبع هواه حيث يعيش الضياع، ويبقى منشغلاً بدنياه من دون أن يرتوي أو أن يحصل على مبتغاه. قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عزَّ وجل: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعُلوي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبدٌ هواه على هواي، إلَّا شتَّتُ أمره، ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم أؤته منها إلا ما قدَّرت له. وعزَّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعُلوي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبدٌ هواي على هواه، إلَّا استحفظته ملائكتي، وكفَّلت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة»**[١].

فلينتبه الشاب والشابة إلى هذا المرض الفتَّاك: هوى النفس، وإلى التسويف في العودة إلى الله تعالى باعتقاد بُعد الأجل، ما يطيل الأمل فتستمر المعصية، ومن يدري مدى ما يعيشه الإنسان؟! قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«أيها الناس، إنَّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأمَّا اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق، وأمَّا طول الأمل فيُنسي الآخرة»**[٢].

ولا يستغرب أحد تلك التحديات في مواجهة هوى النفس، فقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«إن رسول الله ﷺ كان يقول:(إنَّ الجنة حُفَّت بالمكاره، وإنَّ النار حُفَّت بالشهوات). واعلموا أنَّه ما من طاعة الله شيء إلَّا يأتي في كُره، وما من معصية الله شيء إلَّا يأتي في**

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٣٣٥.

(٢) نهج البلاغة، ج١، ص: ٩٢.

شهوة. فرحم الله رجلاً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه، فإنَّ هذه النفس أبعد شيء منزعاً، وإنَّها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى»[١].

تحدَّث الإمام الحسن عليه السلام في جمع من العراقيين عن صفات الأخ في الله، فابتدأ قائلاً: «**أيها الناس، أنا أخبركم عن أخٍ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه... إلى أن قال: كان إذا ابتزَّه أمران، لا يدري أيهما أفضل، نظر إلى أقربهما إلى الهوى، فخالفه»**[٢].

إنَّ قوة الشباب الحقة، في تحدي الصعاب وعدم الاستسلام لها، ومخالفة هوى النفس وعدم الركون إليها، والاستفادة من الحيوية الكبيرة للسمو والارتقاء وعدم الانهزام والاستسلام.

سئل الإمام الصادق عليه السلام: «**أين طريق الراحة؟ فقال: في خلاف الهوى.**

فقيل له: فمتى يجد العبد الراحة؟

فقال عليه السلام: **عند أول يوم يصير في الجنة»**[٣].

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام توجيهه الرائد: «**اللهم صل على محمد وآل محمد، واجعلنا من الذين غلقوا باب الشهوة من قلوبهم، واستنقذوا من الغفلة أنفسهم، واستعذبوا مرارة العيش،**

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٩٠.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ٢٣٧.

(٣) الحرَّاني، تحف العقول، ص: ٣٧٠.

واستلانوا البسط، وظفروا بحبل النجاة، وعروة السلامة، والمقام في دار الكرامة»[١].

٨ ـ إضعاف حيوية الشهوة

عند البلوغ تحصل متغيرات عند الشاب والشابة على مستوى الجسد، تنشأ معها متطلبات جديدة لم تكن موجودة من قبل، فيها الكثير من الحيوية. تبدأ القابلية الجنسية التي تنسجم مع التهيئة للزواج والتكاثر البشري، وهذا لا يعني بأن القابلية تدفع الإنسان دفعاً لتلبيتها كيفما كان، وإنما هي استعداد موجود، يزداد أو ينفعل أو يكون هادئاً بحسب أداء الإنسان.

فلو عرَّض الشاب نفسه في هذه المرحلة لمغريات جنسية عبر مشاهدة الأفلام الإباحية أو الاحتكاك بالجنس الآخر، أو الصحبة التي تثير هذا الموضوع وتهتم به وتدفع إليه...فإنَّ الاستعداد سيزداد ليتحول إلى مطلب ملح، تؤدي عدم تلبيته إلى حالة نفسية صعبة، وقد يؤدي عدم القدرة على تصريفه بطريقة مشروعة إلى ارتكاب المحرمات كالاستمناء والعادة السرية والزنى وغير ذلك. وكلما أوغل الشاب في هذا المسار الخاطئ، ازداد رغبة، من دون أن يصل إلى مرحلة الإشباع، فالغريزة تطلب المزيد دائماً، ما يوقع الشاب في الضياع والآثار السلبية على المستويين النفسي والاجتماعي.

أمَّا لو واكب هذا التغيير الجسدي بإدراكٍ ومعرفةٍ لما هو مُقبل عليه، ولم يحصر اهتمامه وتركيزه على هذا الجانب، وانتبه إلى

---

(١) أبطحي، الصحيفة السجادية، ص: ٤٧٢.

محاذير الانحراف، وساعده المحيطون به من الأهل والمربين على توفير الثقافة الهادفة والأجواء المناسبة، وقدَّروا له خصوصيات نموه الجديد، وتعاطوا معه بحسب المتغيرات التي حصلت لديه، فإنَّ مساره سيكون طبيعياً وإيجابياً. وبما أنَّ المحركات الخارجية لشهوة الجسد مما يحيط بالإنسان، يشكل الأساس في زيادة الرغبة الداخلية، فمع حماية الشاب أو الشابة من مظاهر الإثارة الخارجية تمر الأمور بشكل أسهل، ويمكن عندها ضبط متطلبات الجسد بشكل أفضل.

أصبح واضحاً بأنَّ للشهوة محركين: احدهما داخلي بسبب النمو الطبيعي الذي يصاحب البلوغ، وثانيهما خارجي بما يعرض للإنسان في محيطه الاجتماعي مما يشكل إثارة للشهوة. فإذا عالجنا المحرك الخارجي بالحماية، فكيف نعالج المحرك الداخلي؟

يجب أن ندرك بأن نمو الاستعداد الجسدي لا يعني بالضرورة حتمية المعالجة الفورية بتأمين الرغبة الناشئة، فالأمر يرتبط بكيفية توجيه هذا الاستعداد، وهنا يؤثر الوعي والقناعة بشكل كبير في هذا التوجيه. فلو افترضنا حصول ما يُشعر الشاب باحتمال فقدان السيطرة على التوجيه الإيجابي والانضباط الشرعي، إمَّا لحيوية زائدة في الجسد، وإمَّا لسبق التأثير الخارجي عليه، وإمَّا لغيرهما، فالحل الأفضل أن يقوم بخطوات تُضعف حيوية الجسد ليوقف اندفاعته نحو الحرام. ولعلَّ أبرز خطوة في هذا المجال هو الصوم، لأنَّ الصوم يساعد على إضعاف قوة الشهوة، ما يقلِّل من مطالب الجسد، ويقوي الإرادة بالسيطرة على التفكير والمشاعر، ويعطي الحافز

للاهتمام بالأمور المعنوية أكثر من الأمور المادية، فإذا ضعُفت حيوية الشهوة، استكانت وهدأت وانضبطت، ما يحقق حسن سيطرة الإنسان على جسده بشكل مستقيم.

«إن الصوم مدرسة في الإرادة وتقوية قدرة الإنسان على الانضباط في إطار التكاليف الإلهية، لأن من يمتنع عن الحلال امتثالاً لأمر الله تعالى، يعتاد على الامتناع عن الحرام بل يصبح الأمر أسهل بالنسبة له. وكم من عادات أصرَّ البعض على صعوبة الإقلاع عنها، ونجحوا في تجاوزها بسبب الصوم، لخصوصية تنفيذ الأمر الإلهي، كالامتناع عن القهوة أو التدخين أو الطعام في وقت محدد... وعندما تقوى الإرادة تشتد رعاية الالتزام الديني، ما يعزز الإخلاص لله تعالى، وهو ما ذكرته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها: «جعل الله الصيام تثبيتاً للإخلاص»، فالصوم لا يتوقف عند شهر رمضان المبارك، بل هو دورة تدريبية تمتد أثاره إلى كل السنة وإلى كل الحياة الإنسانية»[١].

يتعاطى الإسلام بموضوعية وإيجابية مع متطلبات الجسد، فيدعو إلى الزواج المبكر ويشجع عليه، وقد يكون الحل بالزواج المؤقت لمن توفرت لديه شروطه وظروفه وضرورته، لكن إذا لم تتوفر إمكانية الزواج، فلا يكون مشروعاً بأي حال من الأحوال سلوكُ طريق الحرام، وإنما الحمايةُ والوقاية، فالدعوة إلى الصوم عونٌ ومساعدة لضبط اندفاعة الغريزة، وليس رفضاً لها. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«يا معشر**

(١) المؤلف، كتاب حقوق الأفعال، ص: ٤١.

الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنَّه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنَّه له وجاء»[١]. الباءة هي الزواج، فمن استطاع الزواج فليتزوج، أمَّا الصوم فهو الحل المقابل، لأنه وِجاء، يقطع مسببات الرغبة فتضعُف.

هل يمكن تصريف الشهوة عن طريق الاستمناء أو العادة السرية؟ لا يجوز لأنَّه محرَّم، وعلى الشاب أن يلتفت إلى النصائح التي تُضعف من تأجيج شهوته، وليس صحيحاً ما يدَّعيه البعض من أنَّه لا بدَّ من تصريف الطاقة المختزنة كيفما كان، فقد هيأ الله تعالى الجسد ليتعامل مع مثل هذه الطاقة في حالة عدم تصريفها بالاحتلام الخارج عن إرادة الإنسان.

ألا تؤدي هذه التعليمات إلى الكبت؟ ما تقدم يدخل في باب العلاج، ومع العلاج لا يوجد كبت، وإنما ينشأ الكبت عندما يتعرض الشاب للمثيرات ثم يُمنع من تصريف رغبته، أما مع الدعوة إلى تصريفها عبر الزواج، أو تقييد تحريكها وتأجيجها من خلال الصوم والابتعاد عن المثيرات، فلا كبت ولا حرمان، وإنما تنظيمٌ سليم لمواكبة هذه المرحلة العمرية الحسَّاسة.

٩ ـ الحيوية المتنوعة

من الخطأ رسم صورة الحيوية الشبابية بالجنس فقط، فالحيويةُ جسديةٌ ونفسية وعقلية واجتماعية... وهي تشمل كل تطلعات المستقبل، وكل الإمكانات التي تبدأ بالظهور في المجالات كافة.

---

(١) ابن حنبل، الإمام أحمد، مسند أحمد، ج١، ص: ٣٧٨.

وبحسب ج.ستانلي هول: «المراهقة ولادة جديدة... لأنَّ خلالاً إنسانية أعلى وأكثر تعقيداً تولد الآن»[١]، فلا يصح التعاطي مع هذه الخلال الإنسانية الكثيرة والمتنوعة والحيوية بحرفها إلى اتجاه واحد يرتبط بالجسد.

«إنَّ المراهق شاب يعيش مرحلة انتقال من الصبا إلى الرجولة، مما يقتضي تغيُّر موقعه ووظيفته الأسرية والاجتماعية، من حيث طبيعتها ومستواها ومقدارها. والمراهق يبتغي تحقيق ذاته، واختبار قدراته، وتفريغ طاقاته، وهو يريد أن يبلور نفسه بممارسة الدور الاجتماعي، والقيام بالمسؤولية»[٢].

فإذا عملنا بشكل متوازٍ ومتكامل، للاستفادة من إمكانات المراهق في المجالات المختلفة، فإنَّ نمو قدرته واستثمارها في بعض هذه المجالات، يعوض ضعف تلبية رغبته في مجالات أخرى، ويوجِّه طاقاته نحو أهداف مستقبلية كبرى، لا تقل أهمية رغبته فيها عن غيرها من الرغبات، فهو بذلك يحقق ذاته، ويملأ فراغه، وينصرف إلى الأولويات التي تستحوذ على اهتماماته، فلا يعيش أسير متطلبات جسده، بل لا يعيش محاصراً بأي مطلب آخر يعجز عن تحقيقه، طالما أنَّ الآفاق مفتوحة أمامه في عرضٍ واحد، وهو بالكاد يتمكن من تحقيق الأهداف الماثلة أمامه، لما تتطلبه من جهد واهتمام ووقت.

---

(١) كابلن، لويز ج، المراهقة، وداعاً أيتها الطفولة، ص: ٥٣.
(٢) النغيمشي، د.عبد العزيز محمد، المراهقون، ص: ٣٠.

تتمثل النقطة المركزية في التوجيه ومساعدة الشاب على رسم خطوات حياته المستقبلية، «إنَّ المراهق طاقة متفجرة، وقدرات شبه مكتملة، ونشاط يفرض نفسه في الأسرة والبيئة، إن لم يوجه ويستثمر ـ بالأسلوب الأمثل والمفيد ـ ضاعت تلك الطاقة والاستعدادات، بسبب الإهمال، أو بسبب الطرق التربوية الخاطئة»[١].

نلاحظ أن الشاب يركز اهتمامه على هدف معين يستهلك وقته، وتتفجر طاقاته بشكل إيجابي، ويعيش التوازن النفسي الذي يُجنِّبه مزالق الشهوة. فبعض الشباب يهتم بدراسته وتنمية إمكاناته العملية، فيتعب نهاراً ويسهر ليلاً لتحصيل العلامات الفضلى، ولا تجد له اهتمامات أخرى بسبب الجهد الكبير الذي يتطلبه مثل هذا الأداء. والبعض الآخر يوزع اهتماماته بين الدراسة والرياضة والأنشطة الاجتماعية فيحقق تنمية متوازنة في مجالات مختلفة. والبعض الثالث يحمل همَّ الأمة ويساهم في العمل الجهادي، ويقوي إمكاناته وقدراته العملية ليوظفها في دوره الاجتماعي المستقبلي، ويهتم بالثقافة النافعة، ويتابع الشؤون السياسية العامة، فيحقق تنمية نموذجية ذاتية ومجتمعية بسبب هذه الاهتمامات المتنوعة، بحيث تكون مضبوطة بشكل واضح في إطار المنهج الحق الذي يؤمن به ويلتزمه.

إنَّ متطلبات الإنسان متنوعة، وعليه أن يحسن توجيهها ومواكبتها، عقلياً ونفسياً وجسدياً واجتماعياً، على المستوى الفردي

(١) النغيمشي، د.عبد العزيز محمد، المراهقون، ص: ٣٥.

والأسري والاجتماعي، في مرحلة الشباب وما يليها، وذلك بدراسة الأولويات التي تحقق الربح المنشود لمستقبله ودوره في الحياة، وليكن في رأس اهتماماته أن لا يقع أسير رغبةِ اللحظة التي تترك آثارها السلبية على الفكر والسلوك والحياة، وذلك بتركيزه على ما يؤدي إلى توازن شخصيته وحياته، لتكون الدنيا معبراً إلى الأفضل فيها، وإلى حسن ثواب الآخرة.

الشاب المتوازن الذي يستفيد من حيويته بالسلوك المستقيم، يربح بكل المعايير، في الدنيا والآخرة، فلا خسارة مع حسن الاختيار، إنما انضباطٌ لاختيار الأفضل بلحاظ النتائج، ولن يكون محروماً أو خاسراً. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«واعلموا عباد الله، أنَّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكنت، وأكلوها بأفضل ما أُكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح. أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم»**[1].

١٠ ـ الأمل الدائم

تقع الأخطاء في حياة الشباب، وتتعثر الخطوات الأولى لقلة المعرفة والخبرة فتنتج عنها بعض السلبيات، ولا تتوفر الأجواء

---

(١) نهج البلاغة، عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر، الكتاب ٢٧.

التربوية المناسبة لحسن التوجيه فترتبك شخصية الشاب وأولوياته، ويؤدي البلوغ في بيئة غير مساعدة إلى القيام بتصرفات منحرفة، لكنْ، حذار التعامل مع هذه الأخطاء بأنها نهاية المطاف، أو أنها حدَّدت معالم مستقبل حياة الشاب بشكل حاسم.

قال رسول الله ﷺ: **«كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون»**(١). فكيف إذا كان المخطئ شاباً في مقتبل العمر، لا زال ينبض بالحيوية، وبإمكانه أن يتوب إلى الله تعالى فيعوِّض ما مرَّ به، ويرسم طريقاً فعَّالاً ونافعاً لمستقبله. قال رسول الله ﷺ: **«ما من شيء أحب إلى الله تعالى من شابٍ تائب، وما من شيء أبغض إلى الله تعالى من شيخٍ مقيم على معاصيه»**(٢). على هذا الشاب أن لا ييأس من إمكانية التغيير في واقعه وشخصيته، وأن يكون أمله كبيراً بالله تعالى في أن يساعده للتخلص من إساءاته.

إذا عرف الشاب قيمة هذه الحيوية التي يتميز بها، وما يمكن أن تُحدثه في المستقبل، وقيمته عند الله تعالى إذا أحسن الاستفادة منها، فسيكون أكثر انتباهاً واهتماماً ومراقبةً لنفسه وسلوكه. فحيويته ليست عبثية، وإمكاناته ليست للهدر، وشبابه طاقة فعَّالة منتجة ومؤثرة في المستقبل، لذا يجب استغلال فترة الشباب.

قال رسول الله ﷺ: **«فضل الشاب العابد الذي تعبَّد في صباه،**

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٤، ص:٢١٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص:٢١٧.

على الشيخ الذي تعبَّد بعدما كبُرت سنُّه، كفضل المرسلين على سائر الناس»[١].

قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذر، ما من شاب يَدَع لله الدنيا ولهوها، وأهرم شبابه في طاعة الله، إلَّا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صدِّيقاً»**[٢].

وقال ﷺ: **«إنَّ أحبَّ الخلائق إلى الله عزَّ وجل، شابٌ حدثُ السِّن، في صورة حسنة، جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته، ذلك الذي يباهي به الرحمن ملائكته، يقول:هذا عبدي حقاً»**[٣].

عندما نركِّز على طاعة الشاب لله تعالى، فلأنَّ المنهج أساسٌ في استقامة الاختيار، فمع الإسلام يعرف الشاب طريق الصلاح ويتجنب طريق الفساد، وهذا ما يحميه من الضياع والبلبلة، ويخفف عنه عبء قلة الخبرة، فإلى الخبير العليم يعود ويهتدي، إلى الله جلَّ وعلا. وعندما نؤكد على بقاء الأمل مهما كانت الأخطاء، فلأنَّ العوَدة إلى الله تعالى الرحمن الرحيم، الذي يعفو عن المذنبين، ولأنَّ فرصة الشباب واعدةٌ في الحياة، وعزيمتهم قوية للتغيير نحو الأفضل، في المقابل، فإنَّ فقدان الأمل يؤدي إلى زيادة الانحراف ويسبِّب الضياع والفساد.

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٥، ص: ٧٧٦.
(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص: ٥٣٥.
(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٥، ص:٧٨٥.

الفصل السادس

عناوين للحب

١ ـ الحب لله تعالى

الحب مطلبٌ فطري يساهم في التفاعل الإيجابي مع الحياة، وهو أمرٌ مشروع عندما يكون في محلِّه الصحيح.

الحب هو الميل العاطفي نحو الآخر، والرغبة في التواصل والتفاعل معه، ما يُنتج مودةً ويحقق لذة تؤنس المحب.

الحب لله تعالى نموذج للميل الفطري الطبيعي، له طريقته البشرية للتعبير عنه، وله انعكاس مادي عملي على حياة وسلوك المحب، فحبُّ الله يعني اتباع المحب لتعاليمه التي أرشدنا إليها رسوله محمدﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، ومع عدم الطاعة يحصل الابتعاد عن الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢]. وكي يكون الحبُّ فعالاً، يجب أن يكون متبادلاً

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

بين الطرفين، فإذا حصل خللٌ، سقط عن الاعتبار، فلا حب من طرف واحد، عندها يستبدل الله القوم بآخرين يتميزون بصفات يستحقون معها حبه لهم، لأنهم محبون لله بإيمانهم وعملهم الذي يترجمونه بجهادهم وعلاقتهم بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

يعطي الحبُّ لله شحنةً معنويةً دافعة في الحياة، ويُشعر الإنسان بالقوة والثقة والأمل بأنه متكلٌ على ولي قادر، ونصير منصف، وحَكَمٍ عادل، يدلُّ على الخير، ويعطي من غير حساب، هو أصل الخلق ومصدر النعم والخيرات.

يحصل الأُنسُ والاطمئنان، بذكر الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٢)، ثم تنتج المودة عن هذه العبودية لله تعالى، فتحقق لذة التواصل بين المخلوق وخالقه، التي تنير طريق الاختيار السليم في هذه الحياة الدنيا. ليس المقصود بحب الله تلك العاطفة السطحية التي لا تترك أثراً، بل تلك التي تنعكس لحلى حياة الإنسان. ليس الحب لله تعالى عاطفة عابرة، فله آثار كثيرة، تربوية وسلوكية ومعنوية، مادية وعملية، دنيوية وأخروية، تصاحبها الهداية والراحة النفسية في هذه الدنيا، ومن دون

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٥٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

هذا الحب لله تعالى، يختلُّ ميزان الاختيار الدنيوي والاتجاه القلبي...

أين يكون البعيد عن الله ؟ ما هي مُثُلُهُ العليا؟ أيُّ طريقٍ سيختار؟ أيُّ حبيبٍ سيعطيه المعاني الإلهية الدافعة لحياةٍ أفضل في هذه الدنيا؟ هل سيكون مطمئناً بغير الله تعالى؟! كيف سيملأ هذا الفراغ الكبير على المستويين النفسي والروحي إذا خالف اندفاعة فطرته الراغبة بالعلاقة مع الله تعالى؟ تبدأ حياة الإنسان المستقرة أو المتوترة من هذه النقطة، التي تنعكس آثارها على كل حياته.

٢ ـ الحب في العلاقات الإنسانية

نبدأ من تكوين الإنسان، فهو مفطور أي مخلوق بمواصفات معينة، ليس بيده تغييرها ولا إلغاؤها، بل عليه أن يواكبها وينمِّيها ويتعاطى معها، ﴿ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[١]، وما يستطيعه الإنسان هو الإحسان أو الإساءة أو ما بينهما في طريقة أدائه وتعامله مع فطرته. يرشدنا القرآن الكريم إلى الطريقة الأمثل للتعاطي مع الفطرة، بالالتزام بدين الله الذي يُعتبر ديناً منسجماً مع الفطرة، لأنه يعالجها من موقع الخالق العليم الخبير الذي يعرف خفاياها، فهو الذي فطر، وهو الذي شرع الدين القيم، فإذا ابتعد الناس عنه، فلجهلهم بعظمته وسوء توفيقهم في حياتهم. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٥١.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

لا تبديل لخلق الله، فقد غرز الله تعالى في الإنسان ما يؤثر في حياته، هذه الغرائز جزء من تكوين الإنسان، تنمو معه، وتظهر بمظاهر مختلفة، متأثرة بعمر الإنسان ومحيطه الاجتماعي. من هذه الغرائز غريزة النوع، حيث يميل كل نوع إلى نوعه، فكل حيوان يميل إلى نوعه، والإنسان يميل إلى نوعه. كما تبرز غريزة النوع في مجموعة من المظاهر، فمن مظاهر غريزة النوع البشري: علاقة الأمومة، والأبوة، والبنوة، والأخوة، والقرابة، والصداقة، والعلاقة مع الجنس الآخر..لكنَّ أشكال هذه العلاقات متفاوتة، فالعلاقة بين الابن وأبيه، تختلف عن العلاقة بين الصديق وصديقه، تختلف عن العلاقة بين الزوج وزوجته...وهذا منسجم مع فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها، التي تتأثر أيضاً بالتربية والتوجيه.

لاحظ معي: لكل حبٍّ منطلقاتٌ ونتائج، تحميه الضوابط ليصل إلى نهايته السعيدة، ولا يمكننا إطلاق العنان للعاطفة كيفما كان، كما لا يمكننا الاندفاع وراء نتائج هذه العاطفة من دون حساب لمشروعيتها التي تحقق مصلحة الإنسان من خلالها.

٣ ـ حب الوالدين

يشكل الإيمان بالله دافعاً إلى تمتين العلاقات الرحمية، منسجماً بذلك مع المطلب الفطري الإنساني في الميل إلى الأرحام كالأب والأم والأخ والأخت... فإذا لم تتوفر أخوَّة الإيمان في الأهل، لا تسقط متطلبات العاطفة الرحمية، التي يشجع عليها الإسلام. قال

الإمام الرضا عليه السلام: **«بر الوالدين واجب، وإن كانا مشركين، ولا طاعة لهما في معصية الخالق»**(١). فحبُّ الوالدين بالإحسان إليهما والعطف عليهما ومد يد العون إليهما، شرط أن لا يكون مساعدةً على الظلم والانحراف والمعصية، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢).

تتحمل الأم معاناة الولادة والتربية لولدها، وتضحي من أجله بصحتها ونومها وحياتها، كما وصفها الإمام زين العابدين عليه السلام في حديثه عن حق الأم: **«فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحداً، وأنها وَقَتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها، مستبشرة بذلك فرحة، محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها،حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض. فرضيتْ أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ،وتظلك وتضحي وتنعمك ببؤسها، وتلذذك بالنوم بأرقها. وكان بطنها لك وعاءً، وحجرها لك حواءً، وثديها لك سقاءً، ونفسها لك وقاءً، تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك،**

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧١، ص: ٧٢.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٥.

ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه»[١]، فولدها جزء منها، وتتحمل منه ما لا تتحمل منه القليل القليل من تصرفات أولاد الآخرين معها. كما أنَّ لها مكانتها بالنسبة إليه، فهو قطعة خرجت من جسدها، وخالط لحمها ودمها وغذاءها...فيتولد من ذلك علاقة متينة، يعززها السلوك والمعاملة الحسنة، ثم يزداد الحب والعلاقة بين الطرفين مع مرور الزمن للدافعين: الدافع الداخلي الغريزي من ناحية، والدافع الخارجي بسبب السلوك الإيجابي وحسن التعاطي من ناحية أخرى. فنرى حباً متمايزاً بين أم وابنها أو ابنتها أكثر من أم أخرى مع ولدها، مع أنَّ الدافع الغريزي الذاتي واحد بالنسبة للجميع، ولهذا الأمر علاقة بالدافع الخارجي الذي يتأثر بالتربية والتصرفات الإيجابية التي تنعكس على السلوك، ويتكرر هذا الأمر في كل العلاقات الإنسانية، بتفاوتٍ طبعاً في القوة والضعف، ولكن باشتراك في الميل الإنساني للعلاقات الاجتماعية بين الأرحام أو الأصدقاء... كقاعدة في أُلفة النوع الإنساني مع بعضه.

٤ ـ مودَّة المؤمنين

أخوَّة الإيمان بالمنهج الواحد مطلب فطري، يساعد في بناء الاجتماع الإنساني المتعاون، لذا حثَّ الإسلام على هذا النوع من الارتباط فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟

(١) الحراني، تحف العقول، ص:٢٦٣.

﴿ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[1]، وهو رباطٌ يُنشئ المودة والحب وينعكس تراحماً ونصرة، قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[2]. وعلى هذا، فالمؤمنون يناصر بعضهم بعضاً، فهم أولياء بعض، متعاونون ومتحابون في الله تعالى. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾[3]، ولهذه النصرة طريقها وأساليب التعبير عنها، ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[4]، كما أن الظالمين يناصر بعضهم بعضاً: ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[5]، فانتبهوا من خلل العاطفة في غير محلها، ولا توجهوا المودة والحب لمن يسير بعكس الاتجاه السليم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١، ص: ١٤٩.
(٣) سورة الأنفال، من الآية: ٧٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٥) سورة الجاثية، الآية: ١٩.

بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

٥ ـ الميل إلى الجنس الآخر

الميل إلى الجنس الآخر، الذي يبدأ من سن البلوغ مع ما يرافقه من نمو جسدي ومتطلبات غريزية، ميلٌ فطري، أي يوجد استعداد خاص برغبة العلاقة مع الآخر، حيث تكون المرأة فيها محلَّ جذب، والرجل محلَّ انجذاب.

هذا خَلْقُ الله. لكن، هل نترك لهذا الميل الفطري أن ينطلق من دون ضوابط؟ هل نترك لهذا الاستعداد الجسدي والنفسي أن يتحرك من دون توجيه وإرشاد؟ هل نترك المجال للأحاسيس والمشاعر لتنطلق بالانجذاب إلى الطرف الآخر من دون تحديد لشخصية الطرف الآخر المناسبة، أو من دون حصرها كي لا تتجاوز إلى ما يحرم من الطرف الآخر؟

الميل الفطري استعداد، إمَّا أن نطلق له العنان، وإمَّا أن نحدِّد له المسار السليم، وهذا ما نسميه الخيار.

نحن أمام دافعين:

الأول: الدافع الداخلي = الميل الفطري الذي يعني الاستعداد.

الثاني: الدافع الخارجي = المؤثرات المجتمعية والتربوية التي تؤدي إلى الخيار.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١.

نستنتج أن الاستعداد قابليةٌ يمكن أن تتجه في أي اتجاه، والخيار حسم للموقف الذي يتحكم بتوجيه الاستعداد، لأنَّه مصحوب بالقرار والإرادة.

يرغب الفتى بعد البلوغ بالتقرب من الفتاة بالميل الفطري منجذباً إليها راغباً بها، وترغب الفتاة بعد البلوغ بانجذاب شاب إليها واهتمامه بها. الرغبة هنا هي الاستعداد النفسي والجسدي.

إذا كان خيارنا ترك المجال لانطلاق هذا الاستعداد بين فتى وفتاة. كيف يجري؟ وماذا يترتب عليه؟ يبدأ الأمر برغبة اللقاء والمجالسة والمحادثة، ويحرص كل منهما أن ينتهز الفرص المتكررة للِّقاء، بصرف النظر عن ظروف لللقاء في بداية الأمر، فالأنس يحصل بتواجدهما معاً في مكان واحد، في المدرسة أو الجامعة أو لقاء العائلتين أو لقاء الجيران أو المناسبات الاجتماعية المشتركة... ثم يزداد الأنس بالتخاطب والمحادثة بينهما بصرف النظر عن طبيعة الموضوعات ... ثم يحصل الاستلطاف الذي لا يخلو من نظرات ايحائية وعبارات يفهم منها كل طرف مشاعر الآخر تجاهه... وهنا تزداد الألفة وتنمو المشاعر والعواطف، فيتوَّلد الحب الذي يزداد بوجود هذه العوامل المحيطة المساعدة...ثم يصل إلى حدٍّ يشعر معه أحدهما أو كلاهما برغبة التعبير الجسدي عن هذا الحب بدافع الاستعداد الغريزي...

السؤال: هل هما مستعدان عملياً واجتماعياً للزواج على سنة الله ورسوله؟

إذا كان الجواب بالنفي. فما الذي فعلاه بخيارهما؟ لقد وجَّها استعدادهما بطريقة خاطئة! حيث سلكا طريق تأجيج العلاقة العاطفية، من نظرة إلى ابتسامة، فسلام ولقاء و...ماذا بعد ذلك؟ لقد اختارا طريقاً خاطئاً يؤدي إلى الحرام، ويفتقر من بدايته إلى المشروعية، لأنَّ نتيجته المتوقعة غير شرعية. لا يستطيع أي منهما ادعاء عدم المسؤولية في الحدِّ الذي وصلا إليه، ولا ادعاء الانسياب مع الدافع الداخلي الغريزي بطريقة لا إرادية! فالخطوات كانت إرادية منذ البداية.

كيف عالج الإسلام هذا الأمر ؟

حرَّم الاختلاط بين الجنسين باللقاء والمجالسة والمحادثة، ما لم يكن له مبرراته الموضوعية والعملية التي تُخرجه من دائرة الأنس بالطرف الآخر. وبشكل أشد حرَّم الخلوة بين الرجل والمرأة في مكان خاص ومنفرد، داقاً ناقوس الخطر بحضور الشيطان الذي يريد الإيقاع بهما. فعن رسول الله ﷺ: **«لا يخلون رجل بامرأة، فإنَّ ثالثهما الشيطان»**[1]. إذاً، قَطعُ الطريق من بدايته، يحمي من التورط والوصول إلى مأزق هذه النهاية.

أما إذا كان الجواب بالإيجاب، بأن تكون للشاب والفتاة رغبة واستعداد للزواج الشرعي، فعندها لا مانع من المقدمات التي توصل إلى هذه النتيجة، على أن تكون مشروعة أيضاً في كل مراحلها.

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٤، ص:٢٦٦.

٦ ـ الزمالة والصداقة

لا تخلو العلاقات الاجتماعية والمدرسية والجامعية، وفي مراكز العمل، وبين الجيران، من تواصلٍ ما بين الرجال والنساء. فقد تستلزم مناقشة الخطة التربوية التعليمية، وحالات التلامذة في المدرسة، اجتماعاً مدرسياً للمعلمين والمعلمات في المدرسة، يصاحب ذلك ابداء للرأي بين الجمع. وكذلك على مقاعد الدراسة الجامعية عندما يستلزم الأمر تنسيقاً لنشاط طلابي أو تعاوناً واستفادة من دروس مطبوعة. وفي مركز العمل تداولٌ في المعاملات بين أصحابها من الجنسين مع الموظف أو الموظفة، وما يصاحب صلة الرحم والتزاور بين الأقارب من سلام وكلام بين الطرفين، أو غير ذلك... حيث توجد حالات كثيرة في زماننا، تستلزم تواجداً مشتركاً أو كلاماً أو مناقشة أو توجيهاً أو استفهاماً أو لقاء أو ما شابه...

عندما تكون الزمالة أو الصداقة من هذا النمط الطبيعي بحسب ظروفنا، وفي إطار الضرورة لخصوصية بعض الحالات، فلا مانع منها، طالما أنها تحصل من الموقع الإنساني في العلاقة، وتتقيَّد بالضوابط التي تتجنب الحرام.

هذا مختلف عمَّا لو استفيد من هذه الظروف، وخرجت العلاقة عن حدِّ الضروري أو الطبيعي، فأقيم المزيد من التواصل والتفاعل مع الجنس الآخر، أُنساً بذلك، باحتمال تطور هذه العلاقة بطريقة غير شرعية ومن دون أن يكون الزواج آخر الخط. لا يقبل الإسلام

هذا النموذج المغلَّف بعنوان الزمالة أو الصداقة، الذي يثير الغريزة، ويقود الفطرة إلى الطريق الخطأ.

إننا دائماً أمام طريقين لا ثالث لهما بين الجنسين: طريق العلاقة الإنسانية العامة، وطريق يوصل إلى التزاوج، ولا حل وسطاً بينهما، بحيث لا يمكن تعقُّل الاستلطاف الذي يتأجج بين الطرفين، من دون أن يصل إلى الطريق الشرعي، ثم يدَّعي البعض بأنَّه يبقيه في دائرة العلاقة الإنسانية العامة! ولا يمكن القبول بالتصرفات التي تحصل على أي مستوى من مستويات التفاعل الجسدي، بحجة محدوديتها وعدم خروجها عن العلاقة الإنسانية، فهذا محرَّم في الشريعة الإسلامية، التي تمنع خطوة المصافحة أو النظرة بشهوة أو أي تصرف يطلُّ على مقدمات إثارة الشهوة مهما كان بسيطاً أو محدوداً. كما لا يمكن التبرير بمتطلبات الغريزة التي يتأذى صاحبها لو لم يخطو بعض الخطوات التنفيسية، فالغريزة تفتح على الأكثر ولا تكتفي بالأقل، وإذا لم يملك زمامها وأفلتت منه بالقليل، فكيف يضبطها عندما تستعرُ وتزداد؟! وقد اعترف الإسلام بحقها فأباح الزواج لتصل إلى كل ما تريده، ولم يقبل بفتح أي منفذٍ يخلط الأمور، ويضيِّع الطريق، ويُحدث الفوضى، ويعطل التشريع، ويحرِم الإنسان تنظيم حياته وإسعادها بشكل صحيح.

ما الذي تريده الشابة التي تجلس مع خمسة شباب ؟ تمازحهم، تضحك معهم بصوت عال، تتبادل النكات معهم، تمضي وقتاً على هذا الحال في الجامعة أو عند الجيران في أيام مختلفة! تقول بأنها

تتسلى! وماذا بعد؟ ألا ترغب بأن يكونوا معجبين بها؟ ألا تأنس عاطفياً بأحدهم أو ببعضهم؟ كيف ينظرون إليها؟ ما الذي يريدونه أو يريده البعض منها؟ هل هم مهتمون بالتسلية أيضاً! إلى أي مدى ستصل هذه العلاقة؟ ما هي حدودها، وما هي ضوابطها؟ لاحظ معي صعوبة الإجابة عن هذه الأسئلة، ومدى التعقيد في تحديد معالم هذه العلاقة.

شابٌ يجلس مع أربع شابات لساعات وساعات! موضوع الجلسة هو التسلية وإضاعة الوقت، ليس هناك أي شيء يستفيدون منه معاً، لكنَّه الاستئناس الذي يشجع على تمضية هذا الوقت الطويل. يحاول الشاب أن يكون محور اللقاء بنكاته وخبرياته، ويريد لفت الأنظار إلى شخصيته المحبوبة واللائقة والمقبولة، والشابات بالانتظار، بعضهن يحاولن لفت نظره أكثر، ما هي النتيجة؟ هل هي جلسة عابرة؟ وكم سيكون عدد الجلسات العابرة؟ لماذا اختار الشاب أن يكون في هذا اللقاء، ولا يتواجد مع زملائه على الطاولة القريبة؟ إلى أين ستصل هذه العلاقة بينه وبينهن؟.

لا نتحدث عن اللقاءات الجامعية أو الأسرية أو غيرها التي تحدث بشكل طبيعي غير مفتعل، ولا عن الحوارات والنقاشات التي تدور حول موضوعات مختلفة، ولا عن التداول بشؤون العمل والدراسة عندما يتطلب الأمر ذلك، ولا عن العلاقات الإنسانية التي تجري في سياقها العادي. ولكننا نتحدث عن المقدمات المخطط لها، والتي يصاحبها تصرفات غير شرعية، وهي تهدف إلى التهيئة

لهذه الدائرة البرزخية، وتعبِّر عن هوًى في النفس يجاري الرغبة من دون تقييد بحدود المسموح والممنوع.

هل هناك أشخاص فوق الشبهات، يحق لهم كل الممنوع على غيرهم، لأنهم موثوقون؟ لسنا في مجال التصنيف بين موثوق وغير موثوق، فنحن نتحدث عن الطبيعة البشرية بالإجمال. ولسنا في وارد تحريم أمور على بعضٍ من الناس وتحليلها لآخرين، فالحلال حلال للجميع، والحرام حرام على الجميع، ما داموا يملكون الغرائز والخصائص البشرية نفسها. نحن نتحدث عن فطرةٍ خلق الله تعالى عليها الرجل والمرأة، وهي تعبير عن استعدادات كامنة، تتأثر بحسب توجيهها.

قد يصل بعض الشباب إلى الانحراف بسرعة، وقد يطول الأمر بالبعض الآخر، على الرغم من سلوك الطريق نفسه، فهذا مرتبط بظروفٍ وتعقيداتٍ تتداخل في هذا الشأن. كما قد يصل بعض الشباب إلى الإيمان الأفضل بسرعة، ويحتاج البعض الآخر لوقت أطول، مع وجودهم في بيئة وظروف متشابهة بحسب الظاهر، لكننا لا نعلم واقع كل المؤثرات. إذاً لا علاقة للثقة بالمسموح والممنوع، إنما هي أحكام تضبط حركة الإنسان، وتوجهه إلى صلاحه، وذلك بسدِّ أبواب الفساد والانحراف، وإبعاد كل ما من شأنه إثارة شهوته، بصرف النظر عن تأثيرها في البعض من أول الطريق، وصمود البعض الآخر لفترة من الزمن، وعدم اكتراث البعض الثالث بكل هذه المقدمات.

٧ ـ سرعة الاستجابة العاطفية عند الفتاة

تستجيب الفتاة عاطفياً بشكل أسرع من الشاب للكلمات المعسولة، أو للانطباع الأولي، أو لمن يُعرب عن رغبته بها. وللأمر علاقة بما ينسجم مع فطرتها، فهي التي ترغب الشريك الذي يحميها ويحبها ويهتم بها، ويؤثر فيها بحسن المعاملة ولطافة التعبير، ويكفيها في البداية أن يُشعرها بأنه سيكون لها، وأنها مورد إعجابه واهتمامه.

بعض الشباب يستدرج الفتاة عاطفياً لمعرفته بتأثرها بمثل هذه الأمور، يبدي لها إعجابه بها، فيكيل كلمات الإطراء، ويعطي الوعود المعسولة، ثم يذكر الصعوبات التي تحيط بقدرته الحالية على الزواج، ويتحدث عن استعداده لالتزامات بعيدة المدى... قد يكون صادقاً وقد لا يكون.

فإذا كان صادقاً، كيف يتعاطيان مع بعضهما خلال هذه الفترة الزمنية لسنوات عدة؟ ما هو الرابط الشرعي الذي يبرِّر مثل هذا النمو العاطفي المتصاعد؟ ما هي الضمانة في أن يبقى على قوله، وهو يملك كل الحرية للالتزام أو عدمه؟ إذا كانت تكتفي الشابة بالحالة العاطفية وتصبر معها وتنتظر، فهل يصبر الشاب في مواجهة رغبته بالتعبير الجسدي، وكيف سيكون ذلك؟ عقبات كثيرة تصاحب صدقه، وتعتريها الاشكالات الشرعية.

فكيف إذا لم يكن صادقاً؟! وتلاعب بمشاعرها، وجذبها إلى رغبته ومتطلباته، ثم اعتذر، أو لم يعتذر! كيف سيكون عليه حالها

وواقعها النفسي والعملي؟ وهل تعلم الفتاة بأنَّ الشاب لا يتأثر عاطفياً كما تتأثر هي؟ وأنَّ بإمكانه أن يتأقلم مع أي وضع جديد بشكل أسرع وأسهل منها، وأن المجتمع لا يضيِّق عليه كما يضيِّق عليها، بل يجعلها في دائرة الضوء دونه! ما الذي يجعلها تنساق بسرعة لبعض الكلمات أو الابتسامات أو التصرفات؟ فلتسأل نفسها عن نهاية المطاف، بدل أن تعيش أسيرة اللحظة وأجوائها!

بإمكان الشاب أن يختار بحرية ويُسر، وأن يتخلَّى ساعة يشاء، لكنَّ الفتاة أكثر رقة وحساسية، عليها أن تنتبه كي لا تقع، وأن تتأمل في خطواتها وتحمي نفسها مما حماها به الشرع المقدس، حيث أوجب موافقة ولي أمرها (الأب أو الجد للأب) على الزواج إن كانت بكراً، وهذا ما يُخرج النقاش من دائرته العاطفية البحتة، إلى دائرة المسؤولية والسؤال والالتزام من خلال الشراكة بين البنت ووليها، بطريقة تساعد الفتاة على الإلمام بمدى قدرة الشاب على تحمل المسؤولية ما بعد الزواج، ما يساعد على حسم الموقف والاختيار بشكل أفضل.

لا يوجد أي معنى مفيد للحب من طرف واحد! ربما التفتت الفتاة إلى بعض التصرفات التي تستنتج منها إعجاباً من الشاب بها، فهل تبني عليها؟ ماذا لو تبيَّن انها مشتبهة، وأنَّها عاشت في الأحلام والأوهام وتحليل التصرفات بشكل خاطئ لفترة من الزمن، وأنَّ ما فكَّرت فيه لم يكن صحيحاً! ستتورط في تعقيدات وأزمات نفسية بسبب انهيار جبل الآمال، عدا عن الإشكال في عدم وجود أي

مسوِّغ شرعي لمثل هذه الاندفاعة والتعبئة العاطفية من دون مقومات توصل الطرفين إلى عقد الزواج الذي ينظم الارتباط السليم بينهما. لا مانع من التفتيش عن الطريقة العملية لحسم هذا الموضوع من بداية الطريق بما يحفظ معنويات وكرامة الفتاة، ويساعدها على أن لا تُوغل في التصورات الخاطئة، ربما يكون ذلك بالاستفسار اللائق عن حقيقة موقف الطرف الآخر، عبر طرف ثالث مشترك وأمين، ويحفظ كرامات الناس.

هل تعترف الفتاة برغبتها بالزواج من الشاب؟ المعروف أن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد(رض) ارسلت إلى رسول الله ﷺ مبدية الرغبة بالزواج منه، ولاقى الأمر رغبته في ذلك فتزوجها. لكن المشكلة الأساسية في الاعتبارات الاجتماعية التي أصبحت سائدة، والتي تسيء إلى الفتاة التي تصارح الشاب برغبتها، وكذلك تصرفات بعض الشباب الذين يسيئون إلى الفتاة التي تستوضح الرأي بها.

بما أننا أمام عقد شرعي، وهو اتفاق بين طرفين، فلا يوجد من حيث المبدأ أي اشكال بمبادرة أي طرفٍ منهما تجاه الآخر، فإلى حين تربية واقعنا على التعاون بشكل عادي وطبيعي في هذه المسألة، على الفتاة أن تراعي ما يمكن أن يخدش مكانتها الاجتماعية،وأن تستفسر بطريقة تحافظ على معنوياتها ومكانتها، فإذا لم يتيسر لها ذلك، فالأفضل أن تنتظر نصيبها، فما كتبه الله تعالى لها لا يمكن أن يفوتها.

٨ ـ اللقاء والتعارف

تختلف طرق التعارف بين الشاب والفتاة الذين يريدان الزواج، باختلاف الظروف التي تحيط بهما، فلا يوجد طريقة واحدة نموذجية أو مثالية. قد يحصل التعارف في الجامعة، او مكان العمل، أو علاقات الصداقة بين الأهل، أو الجيرة، أو صلة القربى، أو اقتراح صديق مشترك للشخصين أو العائلتين، أو بالمصادفة في لقاء أو حفل أو محاضرة أو مناسبة، أو بالبحث والسؤال... ولا تتمايز هذه الطرق إلَّا بمقدار ما تهيئ من معطيات تسهِّل معرفة كل منهما بالآخر.

اللقاء من أجل التعارف ودراسة كل منهما لشخصية الآخر أمرٌ مفيد، ومن المناسب أن يكون بعلم الأهل، وقد يكون بإشرافهم بتسهيلِ اللقاء في المنزل، على قاعدة الرغبة الجادة للوصول إلى حسم الاختيار. يستلزم الأمر جلسات عدة، وطالما أن الحدود الشرعية محفوظة في كون التعاطي بينهما على أساس أنه أجنبي عنها وهي أجنبية عنه، فلا إشكال في ذلك. قد ينشأ استلطاف بين الطرفين، بسبب المشاعر التي تتولَّد من الحديث واللقاء، والانطباعات التي تتشكل في ذهن كل منهما عن الآخر، فلا إشكال في هذا الأمر، لأنَّه متولد عن خطوة ضرورية على طريق الزواج المشروع، ولم يترتب عليها أي حرام.

تساعد اللقاءات المتكررة بإشراف الأهل على التعارف، لكنها لا تعطي الصورة الكاملة الأكيدة، وليس لدينا من طريق إلى المعرفة الأوسع إلَّا السؤال والاستفسار من الأقارب وذوي الصلة بالطرفين،

إلَّا إذا كانت هذه المعطيات متوفرة بسبب الجيرة أو صلة القربى.... لكن لو استفاد كل منهما من بعض الأمور في النظرة إلى الآخر، فإنهما يوفران على نفسيهما الاختلاف المحتمل، ومنها:

* تحقق الإيمان والالتزام الديني الذي يشكل ضمانة مهمة للالتزام بالحقوق والواجبات الشرعية.

* انطباع المحيط الاجتماعي أو العملي الذي يتواجد فيه الشخص أو يعمل فيه.

* الالتفات إلى التصرفات الشخصية التي تبرز بعض معالمها أثناء اللقاءات المختلفة التي تجمعها.

* مضمون الكلام وطريقة التعبير ومجالات الاهتمام اثناء الحديث في فترة التعارف.

* ما يعطيه المظهر الخارجي من انطباع نفسي وعملي عن الشخص.

* عدم الاستعجال بالحسم ولو استلزم الأمر لقاءات إضافية للاستكشاف المباشر أو السؤال والاستفسار من الآخرين.

* ملاحظةُ نقاط التقارب الفكري والاجتماعي،ونقاط الاشتراك بين الطرفين، فهي ضرورية كنقاط اتفاق لتأسيس الحياة الزوجية..

يعطي الإسلام تسهيلات أهم من اللقاء بكثير إذا توقف الزواج على معرفة بعض الخصوصيات الجسدية لدى المرأة، والتي تعني

الرجل بما يرتبط بانجذابه إليها، وفيما أعطاه الله تعالى إياه من حق الاستمتاع. ورد في تحرير الوسيلة للإمام الخميني(قده): «يجوز لمن يريد تزويج امرأة أن ينظر إليها، بشرط أن لا يكون بقصد التلذذ. وإن علم أنَّه يحصل بسبب النظر قهراً، وبشرط أن يجوز تزويجها فعلاً ـ لا مثل ذات البعل والعدة ـ ، وبشرط أن يحتمل حصول التوافق على التزويج ـ دون من علم أنها تُردُّ خطبتها ـ ، والاحوط الاقتصار على وجهها وكفيها وشعرها ومحاسنها، وإن كان الأقوى جواز التعدي إلى المعالم، بل وسائر الجسد ما عدا العورة، والأحوط أن يكون من وراء الثوب الرقيق، كما أنَّ الأحوط لو لم يكن الأقوى الاقتصار على ما إذا كان قاصداً لتزويج المنظورة بالخصوص ـ فلا يعم الحكم ما إذا كان قاصداً لمطلق التزويج وكان بصدد تعيين الزوجة بهذا الاختيار ـ ، ويجوز تكرار النظر إذا لم يحصل الاطلاع عليها بالنظرة الأولى»[1].

يجب التمييز في بعض الحالات، بين الشخصية الحقيقية التي يمكن أن يترجمها الطرف الآخر بعد الزواج، وبين الانطباع العام الذي يتشكل لكل منهما في وسطه الاجتماعي العام، والذي يمكن أن يختلف عن واقع سلوكه وتصرفاته الحقيقية. إذ قد يكون للبعض ازدواجية في الشخصية، بحيث يخدع الطرف الآخر بظاهره الاجتماعي الجيد وباطنه السلوكي السيء، وهذا الأمر يتطلب دقة في الاستفسار للاطمئنان، وصبراً بعدم الاستعجال، وتوفيقاً إلهياً ليس لنا

(١) الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ج٢، ص: ٢٤٥.

يدٌ فيه، كي لا تغيب عنّا الحقيقة، وإلّا وقعت المشكلة.

جاءتني زوجة أحدهم تشكو سوء أخلاقه وتصرفاته معها وأذيته لها، فأرسلت وراءه مستفسراً، لكنه أنكر ما قالته جملة وتفصيلاً، واستشهد لذلك بانطباع زملائه في العمل عن حسن أخلاقه وسمعته الطيبة. بعد التدقيق، تبيَّن أنه مثالٌ ونموذج بين أصحابه، وفي المجتمع، حيث يشهد الجميع بمستوى أدائه المميز، لكنه ظالمٌ ومتسلط داخل البيت، وخاصة مع زوجته، التي يضربها، ولا يحترم لها رأياً، ولا يقدِّر لها تضحيتها معه ومع أولاده. لن أناقش الأسباب كي لا أبتعد عن الموضوع الأصلي، لكني أريد التأكيد على بعض الحالات التي لا ينسجم فيها الانطباع الظاهري العام مع المعاملة الواقعية في داخل الأسرة، وهذا ما يجب الاهتمام به لاكتشافه قبل الندم.

٩ ـ الحب بين الجنسين

الحديث عن الحب، والعلاقة بين الجنسين، ونظرة كل من الشاب والشابة إلى الآخر، من الأمور الحساسة التي يتعاطى معها مجتمعنا بحذر وخجل، ما يجعلها محدودة التداول إلّا في الإطار السطحي، وهذا ما يؤدي إلى الاعتماد على التجربة الذاتية لاستشكاف بعض الحقائق، لمعرفة الصواب من الخطأ، وغالباً ما تكون التجربة مكلفة، فقد تؤدي بعض الأخطاء إلى حصول أزمات فعلية لكل منهما، وتؤسس أخطاء أخرى لسلبيات يصعب تجاوزها.

هذا ما يدفعنا إلى أن نتعرف على نظرة الإسلام الواقعية إلى

هذه الأمور، التي تعرضت لها الآيات والروايات بصراحة واتزان، بهدف التعليم والتوجيه. وإذا كان لنا موقف سلبي من التعرض لمثل هذه القضايا، فذلك عندما تُقدَّم بطريقة إباحية، مثيرة للغرائز، لا تحترم الخصوصيات، ولا تراعي المرحلة العمرية الملائمة، ولا تعالج موضع الحاجة. أمّا إذا كانت بهدف الإرشاد، لمعرفة الطبيعية البشرية ومتطلباتها الموضوعية، لتفادي أخطاء الجهل والتجارب، فهذا ما ينسجم مع طريقة الإسلام في تعبيد طريق الهداية نحو صلاح الإنسان.

إنَّ فهم الحياة أمرٌ مشروع بل واجب، من هنا كان التعرُّف على تكليف المؤمن في مسائل الابتلاء واجباً عليه، كي لا يخطئ في أدائه، ويكون منسجماً مع خط الهداية الذي اختاره لحياته: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

للعلاقة بين الرجل والمرأة من غير المحارم خصوصية الجذب والانجذاب، التي يرعاها الإسلام وينظمها بإيصالها إلى الزواج بين الطرفين في حالات محددة، ضمن عقد له شروطه وتفاصيله، ويحرِّمها ويضع الضوابط لمنع تماديها بين الرجال والنساء في الحالات الأخرى لحفظ الاجتماع الإنساني. فالعلاقة تتأثر بدافعين ـ من وجهة نظر الإسلام ـ : دافع داخلي يتمثل بالرغبة والميل إلى الجنس الآخر، ودافع خارجي يوجهه الإسلام والتربية، لإيصاله إلى

(١) سورة البقرة، الآية : ٢.

العلاقة الخاصة المتمثلة بالزواج، فإن لم يكن الزواج هدفاً، فإنها تخضع للضوابط التي تجعل التعاطي بين عموم الرجال والنساء في إطار العلاقات الإنسانية العامة، بعيداً عن الرغبة ومتطلباتها، حيث تصبح محرَّمة ولا مكان لها في دائرة هذا التعاطي الإنساني العام.

الحب بين رجل وامرأة، مطلبٌ فطري طبيعي أيضاً، له تعبيره بالاتصال الجسدي كمقوِّم أساس لهذا النموذج من الحب، وقد شرَّعه الإسلام بعقد الزواج، الذي تنشأ عنه حقوقٌ وواجبات معنوية ومادية متكاملة، تحقق لكل منهما أُنسه النفسي وسكونه الجسدي، في إطار من المودة والرحمة، وتحقيق الرغبة واللذة، بما يضفي السكينة على الحياة الأسرية، ويجعلها دافعاً للانطلاقة المتوازنة في الحياة الاجتماعية.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[1]، وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: **«وأمّا حق رعيتك بملك النكاح، فان تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية»**[2].

لهذا الحب منطلقات ونتائج تنسجم مع متطلبات كل من طرفي العلاقة تجاه الآخر، ولا يمكن إنشاء هذا الحب وتجريده من مستلزماته. لذا عندما نفتح الباب إليه في علاقة بين شخصين، يجب

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص: ٢٦٢.

أن ننظر إلى النتيجة التي سيصلان إليها، بملاحظة ما يريده كل منهما انسجاماً مع التكوين الفطري لهما. وهذا ما يدفعنا إلى نقاش الاحتمالات التالية:

١٠ ـ الحب العذري

ورد في المنجد: العذرة = البكارة، والهوى العذري= ما كان على عفاف[١]. فمن دعا إلى الحب العذري، حاول أن يوجد مبرراً للعلاقة بين رجل وامرأة من دون عقدٍ والتزام، طالما أنَّ العفاف وعدم التَّماس الجسدي يحكم هذه العلاقة، ولا مترتبات عليها سوى تلك العاطفة الجيَّاشة التي تنمو في داخل الإنسان، ويقتصر تعبيرها على الكلمات الجميلة، والرغبة بالمجالسة، وعيش الاستذكار للآخر في أوقات الخلوة مع النفس!.

ولكن، هل يمكن لهذا الحب أن لا يصل إلى التعبير الجسدي ولو بحدوده الدنيا من الضم والعناق، مع وجود مقومات الفطرة الإنسانية الدافعة إليه بقوة؟! وإذا افترضنا وجود هذه الإمكانية بإرادة التوقف عند هذا الحد وباتفاق الطرفين، فما الداعي لعقوبة النفس والجسد بهذه الطريقة التي تُشعل حريق القلب وتسدُّ طريق إطفائه وإراحته؟ وإذا كانت هناك موانع اجتماعية وواقعية تمنع الزواج ـ كما في بعض القصص ـ فلماذا لا يقر الطرفان بعدم وجود نصيب لهما في هذا الزواج؟ وما فائدة اللجوء إلى هذا الحب العذري الذي يزيد

---

(١) لسان العرب، ج٤، ص: ٥٥١، والمنجد في اللغة والإعلام، ص: ٤٩٤.

العذاب والشقاء؟ ثم يعطل ويعيق حياتهما بإبقائهما في دائرة القلق والمجهول؟

أمَّا إذا كان القصد بأن يكونا كذلك لسنوات عدة قبل قرار الزواج، فلماذا؟ إذا كانت الظروف لا تسمح لهما بالزواج لسنوات عدة، فما الضمانة أن تسمح لهما في المستقبل؟ وإذا كانت الضمانة موجودة، فما الذي يحمي اندفاعتهما الجسدية خلال هذه المدة من التصعيد العاطفي؟ وإذا كان الأمر يقتصر على هذه المرحلة فقط، فما هو مبررها الشرعي؟ فإذا رغبا طوعاً بهذا النوع من التعبير فليرتبطا بعقد شرعي وفق ضوابط العقد الشرعي، فمن خلاله يتصرفان بحسب رغبتهما ولا يقعان في أي إشكال.

١١ ـ الحب قبل الزواج

هل الحب مرحلة لا بدَّ منها قبل الزواج؟ ألا يساعد ذلك على إنشاء الزواج السعيد؟ وهل يمكن أن ينجح الزواج من دون وجود الحب قبله؟

ينشأ الميل العاطفي بين الرجل والمرأة في ظروف مختلفة، لكن الأساس هو تولُّد القناعة بوجود مواصفات في أحدهما تستحوذ على إعجاب الطرف الآخر، ثم يزداد هذا الاعجاب من خلال التواصل، وبناءً لاكتشاف الانسجام بينهما في طريقة التفكير، أو توفر المواصفات التي يرغبها أحدهما بالآخر، أو الاستئناس والاعجاب بالتصرفات والسلوك العام بنظر أحدهما تجاه الآخر...كل هذا يدخل

في الدافع الخارجي الذي يعزِّز العلاقة والمحبة بناءً للتصرفات الإيجابية، وانطباق ما يتوقعه أو يرغبه أحدهما في الآخر.

وبما أن الحب يستند إلى السلوك، فقد ينمو هذا الحب قبل الزواج من خلال التعارف في فترة وجيزة، كما قد يكون موجوداً بسبب المعرفة المسبقة لفترة طويلة، لكنَّه لا يشكِّل الضمانة الأكيدة للزواج الناجح. ذلك أن سلوك كل منهما مع الآخر بعد الزواج، قد يُعزِّز القناعة بسلامة الاختيار فيزداد الحب، أو يُظهر خطأ التوقعات وعدم انطباق المواصفات على التصورات الأولى، فيخبو هذا الحب، ثم يطفو عدم الرضا على سطح العلاقة الزوجية، فيتحول إلى نفور وتباعد حاد يؤدي إلى الطلاق، أو إلى صبر تصاحبه المرارة بسبب عدم القدرة على المعالجة والتغيير.

لا يُعتبر الحب قبل الزواج معياراً وحيداً للاختيار، فلا بدَّ من وجود معطيات أخرى، يتحقَّق معها قدرٌ من القناعة والاستئناس والراحة النفسية، تكفي لتوفير شروط الزواج المقبول لديهما كي يُقدِما على هذه الخطوة.

لاحظنا حالات عدة في مجتمعنا، فشلت في الزواج المسبوق بحبٍ طويل الأمد، عندما اكتشف الزوجان أو أحدهما، الكثير من الصفات السلبية والسلوك المزعج عند الآخر، والتي ظهرت بعد الزواج نتيجة المعاملة المباشرة والاحتكاك اليومي في مواجهة المسؤوليات والحقوق والواجبات في البيت الزوجي، هذه الصورة لم تكن لديهما قبل الزواج، لأنه لم يكن لأحدهما أي مسؤولية تجاه

الآخر، بل كان الأمر مقتصراً على العواطف والتعبير الكلامي والظاهر فقط.

كما طالعتنا حالات كثيرة جداً، وهي الأغلب في مجتمعنا، حيث حصل التعارف فجأة أو عبر الأهل، أو الأصدقاء، أو في العمل الجديد... بهدف الزواج، ثم تبدأ المقدمات الطبيعية للتعارف والاستفسار، وخلال فترة وجيزة، تتوفر القناعة لديهما، ويخطوان معاً خطوات الزواج المعروفة، ثم تكون حياتهما بعد ذلك سعيدة ومريحة. فقد بدأ الحب بينهما استلطافاً عادياً قبل الزواج، ثم نما بعد الزواج بالتفاعل والتواصل اليومي وحسن المعاملة بينهما، وكلما مرَّ الزمن على زواجهما كلما تعلَّقا ببعضهما أكثر فأكثر، بسبب قيام كل منهما بواجباته تجاه الآخر، وتضحيته أمامه، وسعيه لتوفير إسعاده.

ليست علاقة الحب قبل الزواج سبباً لنجاح الحياة الزوجية، ولا عدم وجودها قبل الزواج سبباً لفشلها، فالأصل في نجاح الحياة الزوجية: حسن الاختيار، وكفاءة كل منهما للآخر، وتوفُّر المواصفات التي تُرضي كلاً منهما، ثم يتولَّد الحب تدريجياً، أو يزداد حال وجوده، بطريقة انسيابية ومن دون تكلُّف. من الطبيعي أن نتلمس تنامي الحب والتفاعل والمودة والرحمة بين زوجين أمضيا معاً عشرين أو ثلاثين سنة، إذا تولَّدت مشاعر الحب بينهما بسبب المواصفات الإيجابية لكل منهما بنظر الآخر، ثم بسبب السلوك اليومي الذي تصاحبه التضحية، ولا نستغرب إذا توصَّل الزوجان إلى الطلاق بعد عشرين سنة على الرغم من الاختيار المسبوق بالحب

بينهما، لأن مواصفاتهما لم تكن ملائمة لبعضهما في الجوانب الأخرى، وقد بنيا اختيارهما على المشاعر والعواطف المتَّقدة في لحظتها، ولم يدقِّقا بمدى كفاءة كل منهما للآخر، فالخيار خاطئ من البداية، وعلى الرغم من صبرهما خلال هذه المدة الطويلة وأملهما بالإصلاح، فإنَّ أزمتهما كانت تزداد يوماً بعد يوم، فإذا أضفنا السلوك الخالي من التضحية، وعدم المسارعة إلى معالجة المشاكل بتنازل بينهما لبعضهما، فإنَّ حياتهما ستتحوَّل إلى جحيم بدل الحب والمودة والرحمة، ما يوصلهما إلى العلاج بالطلاق.

إنَّ مقومات الزواج السعيد مبنية على حسن الاختيار، ورعاية الحقوق والواجبات لكل من الزوجين، وسعيهما الدؤوب للتضحية والعطاء، وبناءً على ذلك يتولد الحب والأنس، ثم يزداد التفاعل إلى المودة والرحمة.

١٢ ـ التفلُّت الغربي

يختلف منطلق العلاقة بين الرجل والمرأة في الغرب عن منطلقه في الإسلام، فالغرب الرأسمالي وأمريكا والشرق الشيوعي ينطلقون من مادية العلاقة بين الرجل والمرأة، ويطلقون العنان للشهوة والرغبة الجسدية للتعبير عنها برضا الطرفين، بل يوفرون كل الأجواء التثقيفية والتربوية والإعلامية لاستفزاز الفطرة الإنسانية وتحريك مكنونات الرغبة الجنسية بالدافع الخارجي، فإذا ما حصل الزواج فهو شكل من أشكال العلاقة بين الطرفين بحقوق وواجبات

مدنية، والغالب أن تنفتح هذه العلاقة على كل الأشكال المحرمة في الإسلام: كالاختلاط والزينة وإبراز المفاتن والمعاشرة والزنى...

يحاول الماديون إعطاء التبريرات لسلوكهم، وكأنهم يضفون الشرعية المجتمعية على أعمالهم، لكنهم يخفقون في ذلك دائماً، وهم يعتبرون الزواج أحد أشكال العلاقة بين الجنسين، وليس العلاقة الوحيدة كما في الإسلام.

يتحدثون عن المطلب الفطري الغريزي الذي لا يجوز كبته! ومن الذي يكبته؟ أليست القيود الشرعية تنظيماً وحمايةً من الفوضى والإباحية والأمراض والتوترات النفسية وإفساد الأجيال؟ أليست مانعة من أجواء اللهو والخمر والشذوذ وانخراط الأطفال في هذا العالم السفلي؟ أليس الزواج طريقاً لأداء المطلب الغريزي بطهر ونقاء ومسؤولية تحمي كلاً منهما وخاصة المرأة؟ إنَّ الفطرة خاضعة للتوجيه، فإذا وجهناها في الإطار الشخصي والإطار المجتمعي العام في دائرة الحلال، وهيأنا الظروف الموضوعية لعدم تعريضها للفساد والإفساد، وسهلنا خطوات تصريفها عبر المساهمة والمساعدة في أعباء الزواج، ومنعنا المظاهر الخارجية التي تثير وتحرف عن المسار السليم، أمكننا أن نصل إلى أفضل النتائج. أمَّا إذا تركنا الأمور على غاربها خاضعة للأهواء، وانصبَّ الاهتمام على التفلت من كل الضوابط والحدود، فسيغرق المجتمع وأفراده في أتون الرذيلة، ولن يبقى محرَّم أو انحراف إلَّا وسيحصل، بسبب المسار المادي الخاطئ المتحلِّل من كل قيد.

١٣ ـ التجربة قبل الزواج

لماذا التجربة قبل الزواج؟ وما هو المقصود منها؟ ومع من تتم هذه التجربة؟

الفكرةُ غريبة المصدر، حيث التحلل من كل القيود، وإباحة الزنى، والمساكنة بين شاب وفتاة تحت سقف واحد من دون زواج، وبعبارة أخرى: إطلاق العنان للرغبة الجسدية من دون أي ضوابط. مع ذلك سنناقش الفكرة بالتحليل والدليل.

الذي يدعو إلى التجربة قبل الزواج لا يحدد لها سقفاً ولا ضوابط، فهي تجربةُ علاقةٍ عاطفية وجسدية بين شاب وفتاة، خالية من أي عقد مسبق، أي لا تخضع لأي عقد شرعي، وإنما هي نوع من التفاهم بين الطرفين لخوض هذه التجربة، ينتج عنها احتمالات عدة:

* أن تكون عابرةً لتمضية الوقت وقضاء اللذة، فتنتهي بعد فترة من دون أي التزام.

* أن تكون فرصةً لاستكشاف مدى الانسجام بين الطرفين نفسياً وفكرياً وعملياً، فإذا ارتاحا لبعضهما استمرت العلاقة، وتشرعنت بعد ذلك، وإذا لم يرتاحا انفصلا من دون أي التزامات متبادلة.

* أن تكون واحدةً من تجارب كثيرة يخوضها كل منهما مع

آخرين، يستكشف من خلال هذه التجارب ما يجده الأنسب والأفضل، فتكون التجارب المتعددة فرصته للمقارنة لتثبيت الاختيار النهائي.

* أن يتعرف كل منهما على الجنس الآخر، ما يساعده على الاعتياد عليه، فلا يُفاجأ أثناء الزواج بخصائص مجهولة لديه.

بناءً لما تقدَّم، قد تكون التجربة بين شخصين مقدمة للزواج بينهما، وقد تكون للتعرف على طبيعة الجنس الآخر تمهيداً لاختيار شخص آخر في تجربة أو تجارب أخرى أو الاستفادة من هذه التجربة! ولكن، ما الذي يجنيه الشاب والشابة من سلوك هذا الطريق الحرام من البداية إلى النهاية، مع ما يترتب عليه من مفاسد أخلاقية واجتماعية وتربوية، وما ينتجه من سلبيات نفسية ومجتمعية؟ يمكن تحقيق كل الفوائد المرجوَّة وتجنب السلبيات الحتمية من خلال أمرين:

الأول: معرفة الآخر: الزواج الفاشل يعود في أغلب الأحيان إلى الجهل بالآخر، بل إلى الجهل بالنفس. فلو تعرَّفنا على حقيقة الجنس الآخر، واستكشفنا المقومات الموجودة في شخصيته، وذلك بالاطلاع من خلال الدورات التثقيفية الخاصة بالزواج، والمطالعة، وحضور بعض المحاضرات والدروس، والاستفسار والسؤال، وتعليم الأهل لأولادهم، والتوعية من خلال المدارس والجمعيات والمؤسسات المهتمة بالشباب...وتعرَّفنا على ما توصَّل إليه العلم

المعاصر عن تكوين المرأة والرجل، ومستلزمات هذا التكوين بيولوجياً، وتعلَّمنا ما هدانا إليه الدين من تفصيل واسع ودقيق فيما هي فطرة كل منهما ومتطلباتها، وما ذكره لنا من تعاليم واضحة في هذا الشأن، لأغنانا هذا الرصيد المعرفي عن أن نكون حقل تجارب، مستفيدين أيضاً من تجارب الآخرين في تحديد أسباب النجاح والفشل في العلاقة الزوجية، من دون الوقوع في التجربة المحرَّمة. علماً بأن الفطرة الإنسانية كفيلة بانسياب العلاقة الزوجية بأسهل الطرق، فقد أودع الله في الإنسان نمواً طبيعياً يتدرَّج فيه من حالة إلى حالة، من الطفولة التي لا تدرك شيئاً على الجنس، إلى المراهقة التي تتفتح معها مطالب الجسد، إلى التفاعل الطبيعي بين الجنسين الذي يحميه ويوجهه تشريع الزواج. فالمعرفة تؤدي دوراً ارشادياً هادياً إلى الأفضل، من دون الحاجة إلى الوقوع في فخ الانسياق إلى اللذة العابرة، أو اختيار طريق التجربة المحرَّمة التي تحاكي انفلات الجسد وفق رؤية الماديين، ولا تعالج مطالب الإنسان أو ترشده إلى طريق تلبية رغبته بشكل سليم.

الثاني: العقد الشرعي: كل الادعاءات والاحتمالات التي ذُكرت لتبرير التجربة قبل الزواج يمكن تحقيقها بالعقد الشرعي، أي بعقد الزواج. مضافاً إليها ثلاث إيجابيات:

أ ـ يُمَكِّنهما العقد من أن يتعرف كل منهما على الآخر، فيلبيان رغبتهما، في إطار شرعي سليم، من دون الوقوع في الحرام، فالزواج

سنة رسول الله ﷺ المشروعة، ولا حاجة لاستعارة أساليب الغرب المنحرفة. ومن المفيد جداً الاستفادة من فترة الخطوبة التي تسبق الانتقال إلى بيت الزوجية، والتي تكشف الكثير من خصائص كل طرف بالنسبة للآخر، وقد يطيلا المدَّة اذا احتاجا لمزيد من فهم بعضهما، أو اذا أقتضت ظروف الشاب المادية بعض التهيئة. فإذا استأنسا بهذه التجربة الزوجية أكملاها، واذا واجهتهما عقبات لا يستطيعان تذليلها افترقا بالطلاق.

ب ـ يوضِّح العقد التزام كل طرف تجاه الآخر، ففيه حقوق وواجبات لكل منهما، كما يمكنهما إضافة الشروط الشرعية التي يرغبها كلٌّ واحد منهما في إطار المشروع من الشروط، والتي تمكنهما من تحقيق مرادهما إمَّا بتخفيف بعض التبعات، أو بإضافة بعض المطالب التي تسبِّب الطمأنينة لمن طلبها .

ج ـ يمكن لكل من الطرفين أن يأخذ وقته للاستعلام عن الآخر، وهذا ما يقلِّل من التجارب الخاطئة، وذلك قبل الالتزام بالعقد الشرعي الذي يحمِّل كل واحد منهما مسؤولية تجاه الآخر، وبذلك يتجنبان عبثية العلاقة، ويتجهان إلى الاختيار المدروس، فيوفران بذلك أجواء الارتباط النظيف والمستقيم بينهما.

الفصل السابع

القواسم المشتركة للاختيار الأفضل

بما أنَّ المقومات الشخصية، والبيئة التربوية، والظروف الاجتماعية، لكل من الشاب والفتاة مختلفة، فإنَّ البحث من أجل الزواج عن القواسم المشتركة يساعد على إنجاح الحياة الزوجية، نذكر بعضاً منها:

١ـ الفرق المحدود في العمر

ذلك بحسب سن كل منهما، فسنوات عدة بين سن ١٨ للفتاة وسن ٢٣ للشاب مثلاً أمر معقول، وقد يزداد الفرق مع السن الكبيرة، فالثلاثون للفتاة تتناسب مع الأربعين للشاب. هذه الأمثلة لا تعني الحدِّية في الاختيار، وإنما الحرص على أن تكون الفتاة أصغر للمحافظة على قدرتها بتلبية المتطلبات الزوجية، بسبب ما يعتريها لظروف الولادة وطبيعتها البيولوجية. لكنَّ التقارب في العمر أكثر لا يضر، لكن قد لا يكون ملائماً وجودُ فارق كبير في السن بينهما، يراكم فرقاً في التجربة والوعي أو في القدرة الجسدية والنفسية.

٢ ـ الالتزام الديني

إنَّ مدى اهتمام الطرفين بالالتزام الديني، واحترام الزوج لهذا الالتزام، بل إنَّ حمايته والتشجيع عليه أمر ضروري، فلو كان

الاختلاف بين الالتزام وعدمه، بأن يكون الزوج ملتزماً والزوجة غير ملتزمة فسينشأ الكثير من الخلاف حول تربية الأولاد، وطبيعة العلاقات الاجتماعية، واللباس... وإذا كانت الزوجة ملتزمة والزوج غير ملتزم، فستتعب معه، لأنَّه قد يلزمها ببعض الأمور غير الشرعية، أو يضيق عليها في التزامها، أو يسيء إلى شخصها أمام أولادها. فالتماهي في الالتزام يريح الطرفين، وبعض التفاوت في الالتزام لا يضر، فإذ حَسُنَ التزامه أثَّر عليها وزادها، وإذا حَسُنَ التزامها فقد تؤثر عليه من دون أن يضيق عليها أو أن يعيقها.

٣ ـ انسجام الواقع الاجتماعي

الانسجام بين عائلتي الطرفين من الناحية المادية، وطبيعة العادات والتقاليد، ما ينقلهما إلى الحياة الزوجية في بيئة متشابهة، فلو تحسنت فهذا أمر إيجابي. وإذا كانت ظروف الزوج في بيئة أفضل من ظروف وبيئة الزوجة وتقدَّمت عليها، فهذا ما لا يضر، بل يعطي امتيازات جديدة للزوجة، تأنس بها وتريحها. أمَّا أن ينقلها إلى ظروفه الأدنى والأصعب مما عاشت فيه، فمن النادر أن تنجح مثل هذه العلاقة، لأنها تتطلَّب نموذجاً صابراً ومصمماً. نفهم هذا جيداً من تحديد الشريعة المقدسة لنفقة الزوجة على الزوج بحسب حالها عند أهلها، بحيث تكون نفقة المرأة من الثياب والطعام والسكن متناغمة مع مستواها الاجتماعي، وهذا أمر يتفاوت بين امرأة وأخرى.

من المفارقات الملفتة في هذا الشأن، دراسة أجراها الباحث الاجتماعي الدكتور حسان حمدان، أوردتها صحيفة السفير، عن صفة التَّدين في اختيار الشريك عند الشاب الجامعي، فكانت النتيجة: «أنَّ ٦٥,٨٪ من الشباب يفضلون الشريك المؤمن، و٢٠,٧٪ أن يكون متديناً ويمارس واجباته الدينية، و١٢,٦٪ يريدونه من غير المؤمنين»[١]، وهذا ما يُظهر انطباع الشباب عن تأثير الإيمان في استقرار الحياة الزوجية.

٤ ـ تأثير الانتماء السياسي

يؤثر الانتماء السياسي وكذلك الموقف الاجتماعي العام، في تحقيق الانسجام داخل الأسرة، فمع الانفتاح على وسائل الاعلام المختلفة التي جعلت العالم قرية واحدة، ومع وجود قضايا محل اهتمام في منطقتنا تتجاذبها المواقف المتباينة، بحيث يحتاج كل فرد إلى تحديد موقعه وموقفه، من الأفضل أن تنسجم الرؤية الاجمالية لكل من الزوجين تجاه القضايا الكبرى الأساسية، كتحديد العدو وتأييد الموقف الوطني العام، ورفض موقفٍ سياسي استراتيجي، فلهذه الأمور الأثر في بعض الأسر، وإن لم يكن عامل الانتماء السياسي معيقاً ومعطلاً للحياة الزوجية، التي تكون أهدأ وأفضل وأسعد عند التناغم في المواقف.

---

(١) صحيفة السفير، ٢٣ كانون الثاني ٢٠٠٣.

٥ ـ التفوُّق الأنسب:

إنَّ تفوُّق الشاب على الفتاة في المستوى الاجتماعي أو الفكري أو الديني يُعتبر عاملاً إيجابياً، حيث القوامة له في الأسرة، وتساهم هذه المعطيات في تحقيق الحماية التي ترغبها الفتاة. أمَّا تفوُّقها عليه في هذه المجالات فهو يُسبب في أغلب الأحيان ردَّة فعل عند الشاب، وشعوراً منه بالدونية أمامها، حتى لولم تُظهِر أي استعلاء عليه، وحاولت أن تقلِّل من أهمية هذه الفروقات، لكنَّ أداء المجتمع من ناحية، وتربية الشاب من ناحية أخرى، يسببان أداءً عصبياً وتسلطاً زائداً عند الرجل، كمحاولة منه للتعويض عن الشعور المتوهم بالنقص لديه في مقابل المرأة، ورغبة منه في إثبات ذاته المنقوصة مقابل الصفات المميزة للمرأة.

الفصل الثامن

المسار السعيد

طاقةُ الشباب مفعمةٌ بالحيوية، فلا يصح كبتها أو قمعها بملاحقتها بالمنع والتعطيل بكثرة الممنوعات من دون بدائل تستوعب هذه الحيوية، ولا يصح تركها من دون توجيه ورعاية، كي لا تتخبط في الأخطاء والتجارب المضرة، طالما أن بإمكاننا تقديم النصح والتربية بما يتلاءم مع عمر الشباب ومتطلباته، كما يجب العمل للاستفادة القصوى من هذه الطاقة، برسم المُثُل العليا التي نستهدف الوصول إليها، والتي تحقق بطبيعتها إشباعاً لاندفاعة الشباب نحو الأفضل.

أثبت علم النفس الحديث وجود الانفعالات النفسية عند الشباب، والتي تنمو وتظهر بسرعة في هذه المرحلة العمرية الحساسة، ما يعني صراعاً وتجاذبات في داخل النفس حول المسار والمواقف والآراء التي سيختارها الشباب.

أسئلة الشباب

أسئلة كثيرة تضج وتلح على الشاب (والشابة) ليجيب عليها في كل مواقفه وسلوكه:

١ ـ هل أَنْدِفع إلى كل رغبة تخطر على بالي، أم أختار بعضها وأرفض بعضها الآخر؟ أي مقياسٍ أعتمده للاختيار أو الرفض؟

٢ ـ بدأت أشعر بتحولات جسدية ونفسية، ورغبة بالجنس الآخر، هل هذا الأمر خاصٌ بي؟ أم أنَّه يحصل مع الجميع؟ ماذا أفعل ليكون تصرفي مناسباً؟ وهل أستطيع السيطرة على رغباتي، أم أن الأمر خارجٌ عن سيطرتي؟

٣ ـ هل يوجد مقياس أو قاعدة مناسبة للاختيار، أم أن المطلوب أن لا أقيد نفسي بشيء؟

٤ ـ هل أُطَبق في حياتي ما اعتاد عليه أهلي ومجتمعي، أم أتمرد على كل ما يقولونه لي؟

٥ ـ هل يوجد تشابه بين حياتي وحياتهم، أو يوجد اختلاف كلي بيني وبينهم بسبب اختلاف زمانهم عن زماني، أو أنَّ هناك قواسم مشتركة وأخرى مختلفة لا بدَّ من التمييز بينها؟

٦ ـ إذا كنتُ في هذا الزمان المختلف عن السابق، فمن يوجهني؟

٧ ـ هل أتَّبع الموضة، وما ترِّوجه وسائل الإعلام والشركات العالمية، ومراكز التوجيه التربوية المؤثرة في العالم التي تسيطر عليها الدول الكبرى المتسلِّطة على العالم؟

٨ ـ هل أُعارضهم، ولماذا؟ لمن أستمع؟ ما هو المائز بين

الصحيح والخاطئ؟ وما الذي يصلح لي مما يضرني؟

٩ ـ أشعرُ بقوة في داخلي، وأريد التعبير عنها، كيف أعبِّر عنها؟ وكيف أشعر بدوري؟ وكيف أحصل على مكانتي في المجتمع بين الناس؟

١٠ ـ ما الذي عليَّ فعله لأشعر بأني أخطو نحو العمل الفعال والدور المستقبلي المناسب لي، لأكون راضياً عن الاستفادة من طاقاتي وإمكانياتي؟

١١ ـ أرغبُ أن تكون خياراتي حكيمة وفي محلها، وأريد أن أحكم على الأشياء من خلال عقلي بدقة، فما الذي يساعدني على ذلك كي لا أكون متهوراً أو مخطئاً؟

١٢ ـ أرى نفسي جميلاً، والجمال منحةٌ من الله لي، فلماذا لا أُبرزه؟ وهل المطلوب تقييد إبرازه مع أشخاص دون آخرين، أم أن الأمر متروك لرغبتي وما يريحني نفسياً؟ وهل ما أشعر به صحيح أم أنه اندفاعةُ شبابٍ مؤقتة؟ إذاً كيف أتعامل مع جمالي؟

١٣ ـ كيف أتصرف اتجاه ما يحصل في بلدي من واقع سياسي واجتماعي واقتصادي؟ ما هو مقياس الموقف السليم الذي يجب أن اتخذه؟

١٤ ـ ماذا لو اعتدى عدوٌ على بلدي، وما هي مساهمتي في ذلك؟ أم أني غيرُ معني وعليَّ أن أتركَ الأمر للكبار؟

اكتب اجاباتك عن الأسئلة، ثم قارنها مع الإجابات ص: ١٨٩.

الخيار السليم

النفسُ الإنسانية هي البوابةُ التي تنطلق منها كل الانفعالات، ومن خلالها يتم حسم كل الإجابات الواردة أعلاه، وهي إجاباتٌ تختلف من شخص لآخر، وذلك بحسب ما يعتمده الفرد في تعاطيه مع نفسه. فإذا تركها على هواها من دون قيود، أوصلته إجاباته إلى سيطرة هوى نفسه على كل ما عداه، وعندها يكون مساره مساراً مادياً جسدياً دنيوياً له آثاره وتداعياته. وإذا قيَّدها بشكل جزئي ببعض الضوابط، سواءً أكانت متأثرة بالمحيط الاجتماعي أو المدرسي أو بالقناعة التي توفرت لديه أو غير ذلك، فستكون النتيجة العملية مختلطة بين ما قيَّد نفسه به وهواه، أي أنه سيكون متأرجحاً بين المسار المادي والضوابط التي اختارها. وإذا اختار الإمساك بنفسه، ليكون مسلَّطاً عليها، وقادراً على توجيهها، فبيده أن يقودها إلى المسار الذي يريده.

ركَّز الإسلام على اعتماد الخيار الثالث وهو الإمساك بالنفس لقيادتها إلى حيث نريد، ورسمَ الطريق الفعَّال لذلك، وأكَّد قدرة الإنسان على هذا المسار، وأعتبرَ النجاح فيه على أساس التوجيهات الإسلامية نجاحاً للتوازن بين الجسد والروح، والعقل والعاطفة، ما يحقق الاستفادة القصوى من طاقة الشباب نحو السعادة الحقيقية في هذه الدنيا.

الدنيا دارُ عناءٍ وتعب، ومن الطبيعي أن يبذل الإنسان جهده فيها، وأن يواجه الصعوبات لتحقيق أهدافه، وأن تتجاذبه الأفكار

والإمكانات بمشقة وتضحية قبل أن ينجز أي شيء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾[١]، فخطوات الشباب ليست معبَّدة بالسهولة، ولا هي صعبة غير مقدورة، فمع بعض الجهد، يمكن للإنسان أن يصل إلى مبتغاه.

اختار الإسلام عنوان الجهاد، للدلالة على المسار المطلوب للإجابة عن الأسئلة أعلاه، وعن كل مسار الحياة الدنيا. وبحسب المعنى اللغوي، فالمجاهد هو من بذل وسعه، فإذا كان في مواجهة العدو فهو قتاله محاماة عن الدين، وإذا جَهَدَ في الأمر فقد جدَّ وتعب، ومن جاهد فهو من جدَّ وبَذَل وِسْعه[٢]. وبحسب التعريف الإسلامي فالجهاد جهادان: جهاد أكبر وهو جهاد النفس، وجهاد أصغر وهو جهاد العدو، لما رواه أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«إنَّ رسول الله بعث سرية فلما رجعوا، قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر؟

قيل: يا رسول الله! وما الجهاد الأكبر؟

قال صلى الله عليه وآله: جهاد النفس.

ثم قال صلى الله عليه وآله: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»[٣].

إنَّ التربية على الجهاد مطلوبةٌ في حدِّها الأقصى، والإنسان قادر على ذلك، فقد طلب منّا ربُّ العالمين أن نرتقي باستعداداتنا إلى

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.
(٢) المنجد في اللغة والإعلام، ص: ١٠٦.
(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٥٥٣.

التضحية بالنفس والمال من أجل أهدافنا، وهذا هو الأقصى، حيث يتعلق الشاب في الدنيا بنفسه وأهوائها، وبالحصول على المال لتأدية رغباتها، وعادة ما يكون حريصاً على نفسه وماله أكثر من أي شيء في هذه الدنيا. فإذا استطاع تربية نفسه على التضحية بهما، أي تولّد لديه الاستعداد لذلك، بالتضحية عندما يكون الحرص عليهما حراماً في مقابل حلالِ الاستغناء عنهما، أو باطلاً في مقابل الدفاع عن الحق، أو ظلماً في مقابل العدل...نجح في جهاد نفسه وتطويعها، إذ ليس المطلوب أن يضحي الإنسان بنفسه وماله كيفما كان، بل أن يكون لديه الاستعداد فيما لو تطلّب الأمر ذلك، وبالمقدار الذي يتطلبه كل موقف. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[١].

في جهاد النفس امتلاكٌ لزمامها، وتوجيهٌ لها، قال أمير المؤمنين: «**املكوا أنفسكم بدوام جهادها**»[٢]. وفي جهاد العدو استفادةٌ من القدرة الذاتية لتحقيق العزة والمعنويات، وحمايةٌ للأرض وما يرتبط بالإنسان السيد الحر، وربحٌ مادي بالنصر الذاتي بالشهادة أو هزيمة العدو، فعن رسول الله ﷺ: «**فمن ترك الجهاد، ألبسه الله ذلاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنَّ الله تبارك وتعالى أعزَّ أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها**»[٣].

يجب أن تنطبع شخصية الشاب (أو الشابة) بالروح الجهادية،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٨٩.

وأن تكون حالة دائمة في كل مراحل حياته، ذلك أن صراع المادة والروح قائم في كل لحظة من حياة الإنسان، وابتلاءات الدنيا لا تتوقف بأشكالها المختلفة، والأسئلة التي يتعرض لها مع نفسه وفي مجتمعه مستمرة، لذا كانت النصيحة التربوية العظيمة للإمام علي عليه السلام: **«ينبغي للعاقل أن لا يخلو في كل حال من طاعة ربِّه ومجاهدة نفسه»**[١].

النتيجة الأكيدة لجهاد النفس وجهاد العدو هي الهداية نحو الأفضل، بانفتاح الأبواب أمامنا على الحلول الجيدة والمناسبة في حياتنا، من حيث نحتسب ومن حيث لا نحتسب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، وكذلك تحقيق السعادة الدنيوية وما يرافقها من اطمئنان نفسي ورضا بالنتائج مهما كانت، طالما أنها في عين الله تعالى، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«اعلموا أن الجهاد الأكبر جهاد النفس، فاشتغلوا بجهاد أنفسكم تسعدوا»**[٣]، ومن الطبيعي أن يؤدي جهاد النفس إلى جهاد العدو كمفردة من مفردات النجاح في جهاد النفس.

قطف الثمار

يحصل الشباب على ثمرة عظيمة من جهاد النفس، حيث تزداد وتسمو الحالة المعنوية لديهم، ويتحقق التوازن بين الروح والجسد

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٥٥٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٥٥٢.

عندهم. وهذا ما يخلِّصهم من خطر طغيان الجسد والماديات الذي وقع فيه الغرب المادي، حيث أصبح الإنسان هناك مجرد أهواء وغرائز تتحرك من دون فعالية للوازع الداخلي، ولا للإحساس بالرقابة الإلهية، ولا لأهمية الحالة الروحية، وقد ارتفعت الصرخة عندهم مؤخراً بانتقاد الحداثة التي غرقت في الماديات، وبدأ يدعو بعض المثقفين والمنظِّرين عندهم إلى الحداثة الجديدة التي تعيد المكانة والدور للمعنويات والأمور الروحية، لإعادة التوازن إلى الإنسان الذي بدأ يسير نحو الانهيار الأخلاقي والنفسي والإنساني بسبب المنهجية المادية المعتمدة.

النتائج التي نراها في ساحتنا، بسبب التركيز على جهاد النفس وجهاد العدو وفق المنهج الإلهي، لا تخفى على أحد، وقد تجسَّدت في شبابنا وشاباتنا بشكل ظاهر للعيان.

أمَّا الشباب فقد وجَّهوا حيويتهم في سبيل الله تعالى، وجاهدوا أنفسهم بالابتعاد عن المعاصي، واكتسبوا من طاقة شبابهم بالتدريب على السلاح ومواجهة إسرائيل، ولم تبهرهم الملذات العابرة التي تروج لها وسائل الدعاية والإعلام وبعض الأماكن المعروفة في بلدنا، وآثروا أن يستثمروا طاقاتهم في العلم النافع والتعبئة الجهادية، وجمعوا بين دراستهم في الجامعة وتدريبهم على القتال، وبين عملهم المعيشي ومرابطتهم على الثغور، وبين تكوين أُسَرهم مع الجهوزية الدائمة لنداء مواجهة إسرائيل. دافعوا عن أرضهم لتحريرها

بكل اندفاع، وبذلوا لاستقلال بلدهم بكل قوة وجرأة، لقد استخدموا قوة شبابهم في المحل الصحيح، وناصروا المستضعفين، وطالبوا بحقوقهم في المواقف المختلفة، فبدل أن يغرقوا في شهوات الجسد ومتطلباته، ارتقوا إلى متطلبات الإنسان المتوازن الذي يلبي شهواته في الحلال، ويقوم بواجبه في مجتمعه، ويدافع عن أرضه وأهله وشعبه، ويرضي ربه من خلال علاقة روحية يأخذ منها المَدَدَ للحياة. لقد نجحوا في مجاهدة الاندفاع الجسدي نحو الشهوات بالسمو الروحي وتوازن النفس.

أمَّا الشابات فقد سلكن طريق العفاف والحشمة، فلبسن الحجاب كمدخل للتحصين النفسي والمجتمعي، وانتصرن بذلك على هوى النفس وإغواء الجمال ودعايات دور الزينة والأزياء، ولم يكن الحجاب تقليداً وعُرفاً اجتماعياً تفرضه الأسر والعادات والتقاليد، بل قناعةً ذاتية شجاعة تجاوزت في كثير من الحالات رضا الأهل، وصمدت أمام ممانعة بعضهم من ارتداء بناتهم للحجاب، ذلك أن المعنى كبير، فهو دلالة على المسار والمنهجية، فمن الحجاب يبدأ الالتزام، ويبدأ الموقف والتحدي، وكذلك التعبير عن الحيوية في اختيار المسار الصحيح.

لم يكتفين بذلك، فلهن دورهنَّ في المجتمع، يشاركن في التظاهرات المطلبية والسياسية، وينتمين إلى الموقف الإسلامي الأصيل، ويناقشن بأرائهن وأفكارهن، ويحضرن في المجالات

المختلفة، ويدعمن الجهاد والمجاهدين في مواجهة المحتل الإسرائيلي، ويعملن دائماً لإعزاز هذه المسيرة. إنه جهادهن في آثاره المادية والمعنوية، وفي تحقيق التوازن وسمو الروح، إنه جهادهن في مقابل جاذبية الفتنة والجمال نحو جمال النفس الإنسانية في أروع عطاءاتها وتضحياتها.

لقد ربح الشباب والشابات في مسيرة الجهاد، فتحقق الانتصار على المحتل بتحرير الأرض، وعلى أعداء الأمة بمنعهم من سلبنا لحريتنا وكرامتنا وحقوقنا. لقد زرعوا قوةً وقدرة وحيوية غذَّت مجتمعنا بالنصر، وساهمت في استقطاب كل أطياف المجتمع وخاصة فئة الشباب، الذين التحقوا بالركب الذي ما زال يزداد وينمو ويكبر ويقوى، بفضل الطاقات الشابة التي ترفده باستمرار.

فإذا قال البعض بأن الشباب توفقوا في لبنان بالجهاد الأصغر مع الجهاد الأكبر فوظفوا طاقاتهم بشكل جيد، أما في البلدان الأخرى فالظروف مختلفة! وهذا صحيح، لكن ما ذكرناه عن الاستعداد للتضحية بالمال والنفس يشمل الجميع، ثم تكون التضحية بحسب ما تتطلبه خصوصية كل شاب وشابة، وخصوصية كل بلد وظروفه، فالقيمة الحقيقة لبناء الاستعداد، وهذا بحد ذاته هو العامل المساعد لتحقيق آمال وتطلعات الشباب، وإن تفاوتت الظروف والنتائج ومقدار الرضا عنها.

بعد هذا العرض الذي قدمته لك، بإمكانك أن تجيب عن كل الأسئلة التي وردت في مقدمة هذا البحث بوضوح واطمئنان ويقين

بالاتجاه السليم، وأنا أدعوك لأن تجرِّب الإجابة قبل أن تُكمل القراءة، لتقارن إجاباتك مع ما سأذكره لك.

إجابات من دون تكلُّف

لا بأس بأن أذكر لك الإجابات بعد أن فكرت بالأسئلة (ص١٧٩)، أو كتبت إجاباتك، لتُجري المقارنة، وترى مدى انسياب الأفكار من دون تكلُّف وعناء. لن أذكر السؤال والإجابة عليه، بل سأكتب الإجابات بطريقة متسلسلة مواكبة لتسلسل الأسئلة في هذا البحث، وكأني أجيب نيابة عنك:

١ ـ لن أندفع إلى كل رغبة تخطر على بالي، بل سأتمهل وأفكر في كل شيء قبل أن أحسم خياري خشية أن يغويني الشيطان، وأندم على فعلي. وسأعتمد دين الله تعالى مقياساً للاختيار أو الرفض، لأنَّ الله تعالى خالقي أدرى بما يصلح له شأني وحالي.

٢ ـ علمتُ بشكل قاطع أن التحولات الجسدية والنفسية والجنسية تشمل جميع المراهقين، وهو نموٌ طبيعي عند جميع أفراد البشر منذ بدء الخلق، وعليَّ أن أتعلم وأسأل عن السبيل الأفضل لأواكب مرحلتي هذه، كي لا أضيع بسبب جهلي، ولا أتضرَّر لضعف تجربتي، وأنا أستطيع السيطرة على نفسي بالوعي والإرادة والاستعانة بأصحاب الدراية.

٣ ـ المطلوب أن أقيِّد نفسي بقواعد الحلال والحرام، وأن لا أطلق العنان لنفسي.

٤ ـ لا أطبِّق كل ما اعتمده أهلي ومجتمعي، ولا أرفض كل ما لديهم، ولا أتمرَّد على كل ما يقولونه لي، بل أقارن بين المنهج السليم وما يطلبونه مني، وأوافقهم حيث يتوافقون مع المنهج، وأخالفهم حيث يختلفون عنه.

٥ ـ يختلف زماني عن زمان أهلي ومتطلباته، لكن الاختلاف غير حاد وشامل، فبعض الأمور مشتركة بين الزمانين بل بين الأزمنة، وهنا أستفيد منهم ومن تجربتهم، وليسمحوا لي بالبعض الآخر الذي له علاقة بزماني، ولا داعي لخوفهم عليَّ طالما أني اخترت المنهج السليم.

٦ ـ من المفيد أن استفيد من أهلي بقدر ما يعلمون وينفعون، ومن معلمي بقدر معاصرته لما أحتاجه إنْ كان سليم المسار، ومن زملائي وأخواني إذا كانت لديهم المعرفة والتجربة المناسبة، فلست معزولاً عن الآخرين، وحبذا لو يتيسر لي القدوة العلمائية الجيدة أو المطَّلع على أحكام الدين لأستشيره وأستفيد منه.

٧ ـ لن أتَّبع مراكز التوجيه التربوي العالمي فيما يخالف الإسلام، وسأستفيد من الآراء التربوية والوسائل المعاصرة في كل المجالات، ما لم تكن محرَّمة، أو مؤدية إلى ارتكاب الحرام.

٨ ـ سآخذ من الغرب ومن الآخرين ما ينفعني، ولن أكون سلبياً بالمطلق، فما ينفعني هو حماية نفسي وإيماني ومنهجي، ومع اختياري للمنهج السليم أستطيع أن أميِّز بسهولة بين الصائب والخاطئ، بين ما يصلح لي وما يضرني.

٩ ـ سأعبِّر عن قوة داخلي بقوة الإيمان، والمشاركة مع المجتمع، وقتال العدو لتحرير أرضي، وسأكون حامياً لشؤون الفقراء والمستضعفين ومدافعاً عنهم، ولن أنزوي وحدي، بل سأكون جزءاً من الجماعة، من أجل أهلي وبلدي وأمتي.

١٠ ـ سأتابع تعليمي وتهذيب نفسي وجهادها، ولن أستعجل النتائج، وسأواكب مرحلتي العمرية، وأعمل الصواب بحسب طاقاتي وإمكاناتي، وبذلك أحصل على دوري في المجتمع بشكل تدريجي.

١١ ـ بما أني اتعلم، وقد اخترت المنهج الإسلامي الأصيل، ولم انسق وراء أهوائي، فإنَّ عقلي يعمل بشكل سليم، وهذا ما يساعدني على حسن الاختيار للمواقف، خاصة أني سأستشير عند الحاجة من هو أعلم وأخبر مني.

١٢ ـ جمالي نعمة استأنس بها، ولا أريد إغواء أحد بها، فهذا يضرني في نفسي وروحي ويخرِّب مجتمعي، وسأبرز جمالي حيث أحلَّ الله ذلك، واحتشم حيث تتطلب العلاقات الاجتماعية ذلك، وسأكون مرتاحاً إذا اعتدت على هذا النمط، ولا شيء يمنعني من الشعور بالرضا بما منحني الله تعالى من نعمة الجمال، فهذا يكفي.

١٣ ـ لن أتفرج على ما يجري من حولي، ولن أكون محايداً، سأساهم في كل ما من شأنه أن يُصلح حال بلدي، فأقف الموقف السياسي الذي يساعد على البناء والتحرير والاستقلال عن الأجنبي، وسأتعاون مع المجتمع لرفع الحيف والظلم والفقر بقدر إمكاناتي

على المساهمة المباشرة وغير المباشرة، وسأعمل في أن اعتمد على نفسي بالتوكل على الله تعالى لبناء أسرتي، وسأحارب الفساد والهدر، كل ذلك في إطار رؤية متكاملة تترجمها المواقف السياسية التي تتخذها الجماعة التي أنتمي إليها، إذ لا قدرة لي على أن أكون فاعلاً وحدي، فهذا النمط من الأعمال يتطلب التعاون مع الجماعة أو الحزب أو الفئة المناسبة.

١٤ ـ سأقدِّم مساهمتي في التدريب والاستعداد العسكري، والمساهمة في المقاومة إذا كنت شاباً، وسأكون في خدمة مسيرة الجهاد ضد العدو بكل ما يتطلبه ذلك من مساهمة مالية أو تربوية أو مساندة خلفية ومناصرة إذا كنت شابة. فأنا معني بما يجري على بلدي وأمتي، ولن أقف مكتوف الأيدي.

تجربة مميزة للشبان

يحمل بندقيته متأهباً، ويقطع المسافات بين الوديان والجبال بخطًى واثقة، ثم يكمن أو يرابط مع إخوانه مستعداً للتضحية، له من قوة الإيمان بالله تعالى ما يجعل صلته به مَدَدٌ لا ينقطع، وعنده من الشجاعة ما يطرد الخوف من قلبه، ولديه أمنية صادقة في الفوز أو الشهادة. لا شيء يشغل باله إلَّا مواجهة العدو الإسرائيلي، فهو ينتظر حيناً مجيء العدو إلى مقربة منه، ويبادر حيناً آخر إلى مهاجمته وإطلاق النار عليه.

يعيش حالةً مميزة من الطمأنينة والسكينة، فالمنهج واضح، والخطوات سليمة، والعدو معروف لا شك بعدائه، والهدف سامٍ في

سبيل تحرير الأرض من الاحتلال، وتحرير الإنسان من الركون إلى الظالمين والمعتدين. لا يحتاج إلى تحليل معمَّق لطبيعة المعركة فهي مفهومة تماماً لديه، ولا ينقصه الدافع الذاتي للقيام بواجب الدفاع والتحرير، فقد امتلأ كيانه اندفاعاً، واستفاد من طاقة شبابه وحيويتها في محلها الصحيح.

هو المقاوم الذي اختار طريقه بملء ارادته، اختار العزَّ في مقابل الذل، والمقاومة في مقابل الاستسلام، والتضحية في مقابل فتات الدنيا الرخيصة، وسبيلَ الله في مقابل الانحراف، والوطن في مقابل الاحتلال، والاستقلال في مقابل الاستعمار الجديد.

هو المقاوم الذي قدَّم نموذجاً فريداً في إطار المقاومة الإسلامية، نموذجاً شاباً يمتلك الحيوية الكاملة والطاقة المتَّقدة، وضع نصب عينيه الأهداف الكبرى، وهيأ عدة المواجهة على ضعفها، مستمداً من إيمانه بالله تعالى وقضيته المحقة في التحرير زخماً وعزيمة. لا يلتفت إلى وسائل الإعلام ليصبح معروفاً، ولا يتباهى بين أقرانه عند عودته إلى مكان سكنه، باع نفسه لله تعالى فأصبح وجوده حياة أمته وأرضه، وعاش ذوبان الذات في أطهر المواقع وأسمى العطاءات وأشرف القضايا وأنبل الأداء.

هل سمعته يتحدَّث عن لذة الجهاد والمقاومة؟

هل لاحظتَ تعابير وجهه عائداً من المرابطة أو المواجهة مع العدو وقد علاها البِشر والفرح؟

هل انتبهت إلى اطمئنانه للنصر والتحرير؟

ألم تلاحظ دماثة خلقه في التعاطي معك؟

ألم يلفتك بكاؤه في مناجاته لله تعالى أثناء صلاته؟

هل لاحظت كيف جمع بين رقة القلب وشدة العزم في مواجهة المحتلين؟

ماذا وَجَدَ في هذه المقاومة التي سلبت لبه وعقله، وأصبحت معشوقة له، يأنس لها، ويعيشها في كل ذرة من كيانه وجوارحه ووجوده؟

قيمة المقاومة الإسلامية في نموذجها أنَّها جمعت بين الإيمان والجهاد، ووظَّفت حيوية الشباب في حماية الأمة من أعدائها، ولم تقتصر على تنمية القدرة القتالية والروحية الجهادية، وإنما وجهت الشباب إلى المزيد من الوعي، فهم قادرون على فهم ما يدور من حولهم، ولديهم مفردات النقاش والدليل على صوابية اتجاهم. لقد شجعتهم المقاومة على العلم حتى اقترن وجودها بعدد الشباب الجامعيين المتخصصين في صفوفها، ولم تصرفهم عن حياتهم اليومية والتزاماتهم مع الأهل والأولاد فجمعوا في أدائهم ما يؤمِّن حاجاتهم الدنيوية وذخيرتهم في الآخرة.

حصلت المقاومة الإسلامية على سمعتها العطرة في لبنان والمنطقة والعالم بسبب نوعية وأداء مجاهديها، فهم من جيل

الشباب الصاعد الذين لهم كل متطلبات الشباب التي خلقها الله تعالى فيهم، وقد تميزوا بحسن الاستفادة من طاقاتهم في الطريق المستقيم.

لا شيء يمنع أي شاب من امتلاك هذه الصفات التي تجمع بين الإيمان والعلم، وبين المقاومة ومتطلبات الحياة، وبين قوة الاندفاع وسلامة التوجه، وبين سبيل الله والوطن والأمة وقضاياها، وبين الدين والدنيا، فهذا طريقٌ وخيار مقابل طرق وخيارات أخرى. حتى الأطفال ومن لم يبلغوا الحلم بعد، يندفعون باتجاه المقاومة، ويرغب المراهقون أيضاً أن يكون لهم دور فعَّال فيها، وهذا ما يدل على انسجامها مع حيوية الشباب.

تجربة مميزة للشابات

أما الأخت المجاهدة في الموقع المقاوم فلها خصوصيتها ودورها. إذ لا يقتصر الدور المقاوم على حمل السلاح فقط، فخيار المقاومة خيارٌ متكامل في وظائفه ومتطلباته والعناصر التي تساهم في إنجاحه. وهنا نركز على المقاومة أيضاً لأنَّ آثارها التربوية والمعنوية كبيرة جداً، فهي تملك جاذبية الاستقطاب إليها لحيويتها وسموها وانسجامها مع شعلة الشباب، وتظهر بصماتها على الفكر والسلوك والوعي السياسي والاجتماعي، خاصة أنَّها تجسد رؤيةً متكاملةً فكرياً وجهادياً وسياسياً وعملياً، فمضمونها عام وشامل.

كانت توجَّه لي الأسئلة الكثيرة من الأخوات في الجلسات

الخاصة والعامة عن سبب عدم إفساح المجال لهنَّ للجهاد والمقاومة وحمل السلاح في المواقع الأمامية، وهذا ما يدل على المدى الذي استحوذته المقاومة الإسلامية في نفوسهن، حيث لم يأبهن لضعف أجسادهن في مواجهة شدة وغلظة وشراسة القتال، ولم ينصرفن إلى البحث عن حياة الدعة والجمال والإغواء الذي تروج له مراكز الانحراف العالمي، ما يؤكد على الروحية العظيمة التي يمتلكنها، وعلى الرغبة في توجيه طاقة الشباب لديهن في الاتجاه المعنوي الطاهر الذي يسعى إليه كل من يمتلك هذه الحيوية ما لم تُلوَّث فطرته بالتعبئة الخاطئة.

كنت أوضِّح لهن بأن الإسلام لم يوجب الجهاد العسكري والقتال المباشر على الأخوات، آخذاً بعين الاعتبار طبيعة تكوينهن الذي ينسجم مع المهمات الجهادية الأخرى المواكبة والمنسجمة مع القتال. فالشابة هي الأبرع في تربية الأولاد وتوجيههم نحو الاستقامة والأهداف السليمة عندما تستفيد من وعيها وحنوها وعاطفتها وصبرها في هذه العملية الشاقة والطويلة، وهي التي تساهم في التعبئة والنصرة والمشاركة في الأنشطة السياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية التي تعطي قوة للمسيرة بحضور الأخوات العزيزات، وهي التي تتلقى نتائج الجبهة في تضميد الجراح وتخفيف الآلام وتحمل نتائج الشهادة ومواكبة الاستمرارية في إطار التضحيات الكبرى التي تتطلبها المعركة مع العدو المحتل.

تُتابع الأخت المجاهدة أوضاع وأخبار الجهاد والمجاهدين

والمقاومين، تفرح لنصرهم، وتحزن لفقدان بعضهم وكأنها تعرفهم. تأنس لعلو مكانتهم ونجاحهم في مهماتهم، وتعتبر نفسها معنية بما يجري على الساحة وهي في ثانويتها أو جامعتها أو عملها لأنَّها اختارت هذا المسار.

تُشكِّل الأخت المجاهدة دافعاً لزوجها بمساندته، وحفظه في بيته وأسرته، وتشجيعه في مسيرته، متحملة بذلك غيابه الطويل والضروري عن البيت، مع ما يستلزمه ذلك من عبء الأولاد وحرمان الأنس الزوجي ومحدودية القدرة المالية، وهل هناك أسمى من تبعات هذا الجهاد الذي يستلزم الصبر والمعاناة؟ وهل هناك أهم من هذه النصرة لمسيرة المقاومة؟

تتطلع الأخت المجاهدة إلى شريك المستقبل الذي ينسجم مع إيمانها والتزامها وطهرها وعفافها، وتفرح باختيار المجاهد، وهي تعلم ما يكتنف حياته من صعوبات، لكنَّها لا تبحث عن متاع زائل، فهي تبحث عن السعادة الحقيقية في سبيل الله، وما تحققه من أجرٍ لآخرتها.

يبرز جهاد الأخت المجاهدة في رفضها لاستغلال أنوثتها عن طريق الحرام، وفي أنَّها تمارس إنسانيتها من موقعها ودورها ومسؤولياتها تجاه ربِّها ونفسها ومجتمعها، فتكون بذلك في الموقع الطبيعي بجهاد نفسها وجهاد شياطين الإنس، الذي يتحقق معه جهادُها لأعداء الإنسانية والأمة بشكل انسيابي، وكذلك تأثيرُها الفعَّال في بناء الأجيال.

ما أجمل هذه الصورة: الشباب المجاهد والشابات المجاهدات يصنعون حاضر الأمة المشرق بالمقاومة والتحرير، ويؤسسون لمستقبل الأجيال بعزة وكرامة. هذا النموذج لا ينهزم ولا يتراجع، وهو دائماً في موقع الانتصار، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

النهاية السعيدة

عزيزي الشاب وعزيزتي الشابة.

بعد هذه الرحلة التي سرناها معاً في طيَّات هذا البحث، وفي طيات صفحات هذا الكتاب، أصبح الأمر بيدك، عليك أن تختار، فستجد لحيويتك وطاقتك الشابة مسارها الصحيح، وسينعكس اختيارك على كل حياتك، وستتأثر اهتماماتك بهذا الاختيار بشكل تكاملي، فتأمل، وكن جريئاً في قرارك. فمع الله تعالى تعيش السمو والاطمئنان، وبدينه تسلك سبيل النجاة، وبجهادك لنفسك وعدوك تحقق الانتصار. فهنيئاً لك.

---

(١) سورة الروم، من الآية ٤٧.

الفصل التاسع

أسئلة مختارة من لقاءات

«منتدى الشباب»

١ ـ لماذا يستطيع الشاب اختيار الفتاة التي تعجبه أو يحبها، ولا تستطيع الفتاة اختيار الشاب الذي يعجبها أو تحب أن ترتبط به ؟

* لا شيء يمنع على المستوى الشرعي من أن تبادر الفتاة إلى اختيار الشاب، لكنَّ الأعراف الاجتماعية السائدة لا تتقبَّل هذا التصرف، إضافة إلى الخشية من أن يسيء إليها الشاب الذي اختارته إذا رفض ذلك وأشاع ذلك عنها، فهذا ما ينشر عنها سمعة غير لائقة، ولا تخفى الحساسية الموجودة حول سمعة الفتاة في أجوائنا. لكن يمكن في بعض الحالات الخاصة، أن يتم إيصال الفكرة بما لا يسيء إلى سمعة الفتاة، عبر أحد الأشخاص المأمونين مثلاً، أو بالاستفسار غير المباشر.

٢ ـ بالنسبة للحجاب، هل يمكن للمرأة بما أنها إنسانة اجتماعية كالرجل، أن تكون محتشمة وأن تظهر من دون حجاب، عندئذٍ ستكون مثله في الحياة وفي المجتمع. لماذا أصرّ الاسلام على الحجاب بهذا الشكل، إذا كان الاحتشام هو المطلوب ؟

* الاحتشام مصطلح يستخدمه الناس للدلالة على لباس الفتاة الذي لا يكون فاضحاً. أمَّا الحجاب فمصطلح يرمز إلى الستر

الشرعي من المنظور الإسلامي، وهو بكيفيته الإسلامية يحقق الهدف المطلوب، حيث تستر المرأة جسدها بالكامل ما عدا وجهها وكفيها، فتكون بذلك محتشمة ولا تبرز مفاتنها أمام الرجال، وتؤمِّن حضورها الإنساني لا الأنثوي في المجتمع بشكل عام. وليس لجسد الرجل وشكله تلك الخصوصية الموجودة في المرأة بجاذبيتها للرجل، لذا لم يطلب منه الستر بالكيفية التي طُلبت منها.

٣ ـ هل يجوز التعبير عن العواطف للشخص الآخر ؟

* لا بأس بالتعبير عن العواطف للشخص الآخر إذا كانت مقدمة للارتباط بعقد الزواج، أما مجرَّد التعبير من دون إمكانية هذا الاحتمال فيوقع في الإثم.

٤ ـ هل من الخطأ أن يشرح الأب لابنته عن العلاقات الجنسية، وذلك لأنَّ الأم لا ترغب بذلك، وهي تخجل من هذا الأمر ؟

* الأفضل أن تشرح الأم لابنتها هذا الأمر كي لا تقع البنت في حرج، ولكن لا شيء يمنع من أن يشرح لها والدها هذا الأمر بأسلوب فقهي وعلمي، ومعلوم أنَّ لدينا مسائل فقهية تتحدث عن خصوصيات المرأة والعلاقات الجنسية يشرحها بعض العلماء للأخوات بهدف التدريس الفقهي، بل وتسأل بعض الأخوات العلماء عن ابتلاءاتهن في مسائلهن الخاصة وتحصلن على الإجابة، فلا حياء في الدين والسؤال عنه، وعلى هذا الأساس يمكن للأب أن يشرح لابنته ما يتناسب مع عمرها أو محل ابتلائها.

٥ ـ لقد أحببت شاباً من النظرة الأولى فهل هذا حقيقي ؟

* الحب من النظرة الأولى، هو الانطباع الإيجابي النفسي والعاطفي الذي يتشكل بسبب انطباق بعض الصفات التي تتصورها الأخت عن الطرف الآخر، والذي يمكن أن يحصل، لكن لا يصح البناء عليه، إذ يجب استكمال الصورة حول مواصفات الشخص الآخر، وذلك إما لتكريس هذه العاطفة على أسس سليمة، أو لوضع حدٍ لها عند وجود السلبيات التي تخالف النظرة الأولى.

٦ ـ ما هو الحكم الإسلامي عن أحلام اليقظة والخيال في الأمور المحرّمة؟

* الأحلام هي التي يراها النائم في منامه، حيث لا يتحمل مسؤولية شريط الأحداث الذي يراه، فهو أمر لا إرادي. ولا يوجد أحلام يقظة أو خيال، وإنما تصورات تأتي إلى ذهن الإنسان أو تخيلات يحاول تجسيدها صوراً في ذهنه، وهذه يتحمل مسؤوليتها عندما تكون تصورات أو تخيلات محرَّمة إذا ركَّز عليها وأبقاها في تأمله، لأنها تترك آثارها على الإنسان كالصورة الحقيقية في كثير من الحالات، لكنَّه لا يتحمل مسؤوليتها إذا خطرت على باله ثم طردها وأبعدها.

٧ ـ كيف تستطيع الفتاة أن تميز أن هذا الشاب صادق في كلامه خلال جلسات معدودة في بيت الأهل، فهذه الجلسات ليست كافية لتعرف أنه ذو أخلاق حميدة أو يحمل الصفات المطلوبة ؟

* تكشف الجلسات المعدودة في بيت الأهل جزءاً من الشخصية ولا تكشفها كلها، وإذا اعتبرت الفتاة عددها غير كافٍ، فليسأل والدها أو أخوتها أو من يمكنه مساعدتها عنه لتكملة الصورة والاطمئنان إليه، وإذا كان المزيد من الجلسات يساعد في جلاء الموقف، فلا داعي لبت الموضوع بسرعة قبل عقد هذه اللقاءات.

٨ ـ إذا قامت فتاة بعلاقة مع شاب، ولم يتحقق الزواج، وهي تشعر بذنب كبير تجاه ربها فكيف يمكنها التخلص من هذا الإحساس ؟

* تستغفر الله على ما مرَّ، فإنَّه غفور رحيم، على أن تصمم بعدم العود لمثل هذا العمل المحرَّم.

٩ ـ هل تعتقد أن تبادل الرسائل بين الشاب والفتاة خطيئة ؟

* ما هو الدافع إلى مثل هذه الرسائل سوى إثارة المشاعر بين الطرفين؟ فإذا كانت بهذا الهدف فهي خطيئة، ولا أرى سبباً آخر يستدعي تبادلها.

١٠ ـ كيف يمكن تفسير تولد المشاعر تجاه شاب معين بشكل قوي ومفاجىء، مع الإشارة إلى أن الفتاة ليست سطحية أو منغلقة المشاعر ؟

* ترتبط هذه المشاعر بتوفر الصفات المحبوبة في الآخر، لكن المهم أن لا تسمح لهذه المشاعر أن تستمر إلَّا في حال سلوك الطريق المؤدي إلى الارتباط عبر الزواج.

١١ ـ ما رأيك بالتعرف عبر الإنترنت، وهل هناك حرمة في الكلام مع الشباب على الشبكة وإقامة علاقة حب دون حدوث أي علاقة. (رؤية الصور فقط) ؟

* لا شرعية للحب الذي يؤجج المشاعر من دون التوصل إلى العلاقة الشرعية بالزواج.

١٢ ـ هل بناء علاقة عاطفية مع شاب من دين مختلف حرام ؟

* لا يجوز للبنت المسلمة أن تتزوج من شاب غير مسلم، فالزواج باطل وحرام، وكذلك مقدماته.

١٣ ـ إذا استخارت إحدى الأخوات خيرة للزواج، فكانت غير جيدة، لكنها لم تهتم وتزوجت، هم على اتفاق تام، لكن ماذا يجب أن تفعل لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار الخيرة من أول الأمر ؟ هل هناك كفارة أو شيء ما يتوجب عليها لكي يرتاح ضميرها ؟

* تهدف الاستخارة في أي أمر إلى حسم الموقف عند الحيرة، لكنها ليست واجبة ابتداءً، ومخالفتها ليس عملاً محرماً، وقد ورد عند الرغبة في مخالفتها لتضاربها مع القناعة الموجودة أصلاً بخلافها، أنَّ الأفضل أن يتصدق الإنسان لفقير، ولا يترتب كفارة على المخالفة، لكني أنصح بأن لا يستخير الإنسان إذا كان مقتنعاً ومصمماً على فعل أمرٍ ما، كي لا يعيش إرباكاً نفسياً عند مخالفة نتيجة الخيرة لقناعته.

١٤ ـ ماذا أفعل إذا ألحَّ عليَّ الشاب بالزواج وأنا لا أريده؟ ماذا أفعل، إذا كثر هذا الإلحاح وكان الشاب يهددني بأن يقتل نفسه إذا لم أقبل به، وكيف أردعه ؟

* لا شيء يُلزمك بالقبول به زوجاً، ولو هدَّد نفسه، ولست مسؤولة عما يرتكبه، لكن لا بأس بمحاولة توجيهه واقناعه والاستعانة ببعض من يؤثرون عليه كي لا يرتكب أي حماقة بسبب رفضك له، ولكنك لستِ مسؤولة ولست مرغمة أو آثمة بسبب رفضه.

١٥ ـ شاب غير ملتزم دينياً، هل يتغير لمجرد ارتباطه بفتاة ملتزمة ؟

* ليس معلوماً ولا مضموناً أن يتأثر دينياً ويستمر على ذلك بسبب ارتباطه بفتاة متدينة إذا تعهد لها بذلك، أمَّا إذا لم يتعهد فمجرد الارتباط بالمؤمنة لا يغيره، فهناك عوامل أخرى قد تؤثر على تدينه، كقدرتها على إقناعه أو رغبته بالتدين...

١٦ ـ إذا كانت الفتاة أو المرأة تتميز بأنها عاطفية، فهل يمكن أن ننجح في تربيتها على تحكيم العقل أكثر من العاطفة؟ أم أن هذا الشيء فطري لا يمكن أن يتغير؟

* القاعدة العامة فطرياً أنها عاطفية، وهي تفكر جيداً وتتعقل الأمور كالرجل، لكن في مواقف معينة تتغلب عاطفتها، يمكن أن

تتأثر بعض النساء بالتربية فتتغلب عقلانيتها على عاطفتها، لكن تبقى القاعدة العامة لغالبية النساء عاطفية، وهذا أمر إيجابي فيما تقوم به من دور ووظائف تنسجم مع تكوينها.

١٧ ـ هل يوجد مشكلة في مصاحبة فتاة لشاب تحت عنوان الأخوة؟

* مصاحبة الشاب لفتاة ستولِّد عاطفة ومشاعر، وماذا بعد ذلك؟ يمكن الاكتفاء بزمالة العمل والدراسة والقرابة في الحدود الضرورية والطبيعية، لكن أي اتجاه للمصاحبة المميزة لا مبرر له، فلن ينتج الا الأنس النفسي الذي سينمو خارج الدائرة الموصلة إلى الزواج، وهذا غير جائز.

١٨ ـ في هذه الأجواء الفاسدة، كيف تستطيع الأخت تمييز الشاب الصالح من الطالح وخاصة أنهم يتشابهون في هذه الأيام؟

* للشاب الصالح مميزاته، وللشاب الفاسد علاماته الدالة عليه، فلا داعي للتعميم والتشاؤم، فالقليل من السؤال والاختبار يكشف النمط العام للشاب إجمالاً.

١٩ ـ إنَّ نمط الصحبة يؤثر على بناء الشخصية، وقد قلت أيضاً إنه علينا أن نختار صحبة المؤمنين، وأن نبتعد عن غير المؤمنين، فلماذا لا نقترب منهم ونأمرهم بالمعروف ونهديهم إلى الطريق الصحيح؟

* إذا كانت المصاحبة للأصدقاء بهدف هدايتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فهذا أمر إيجابي مطلوب، بل كل مؤمن مسؤول عن هداية من أمكنه من الناس، لكن لو أراد الشاب أن يتخذ صاحباً يؤنسه ويساعده ويكون عوناً له في النصح والسير معاً، فلا بدَّ أن يكون على شاكلته وشاكلة ما يؤمن به، وهذا ما قصدته بحسن اختيار الأصدقاء.

٢٠ ـ كيف نقنع فتاة لا تقتنع بالحجاب نهائياً؟

الحجاب فعل إيمان، لا تلتزم به إلَّا من آمنت بربها وإسلامها واعتبرت تكليفها الشرعي أن تلتزم بأوامر ونواهي الإسلام، لذا علينا التركيز أولاً على إيمانها والتزامها الديني الذي ينعكس إيماناً بالحجاب، وخشيةً من المعصية توقِّياً للسؤال في يوم الحساب.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن أبي طالب، الإمام علي عليه السلام.

ـ نهج البلاغة، من المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.

٣ ـ زين العابدين، الإمام الرابع علي بن الحسين عليه السلام.

ـ الصحيفة السجادية، تحقيق أبطحي، مطبعة نمونة، قم، ط١، ١٤١١هـ.

٤ ـ ابن حنبل، الإمام أحمد، ت ٢٤١هـ.

ـ مسند أحمد، دار صادر، بيروت.

٥ ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت٧١١هـ.

ـ لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.

٦ ـ الحرَّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع عشر الهجري.

ـ تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٧ ـ الخميني، الإمام روح الله، ت ١٩٨٩م.
ـ تحرير الوسيلة، دار الصراط المستقيم، بيروت، ١٤٠٣هـ (١٩٨٢).
٨ ـ دار المشرق، بيروت.
ـ المنجد في اللغة والإعلام، ط٢٢، ١٩٧٣.
٩ ـ الزرَّاد، الدكتور فيصل محمد خير.
ـ مشكلات المراهقة والشباب، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
١٠ ـ الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١هـ.
ـ الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ.
ـ الأمالي، مؤسسة البعثة، قم،ط١، ١٤١٧هـ.
ـ ثواب الأعمال، منشورات الرضي، قم، ط٢، ١٣٦٨هـ ـ ش.
ـ معاني الأخبار، تحقيق الغفاري، انتشارات إسلامي، ١٣٧٩هـ.
ـ من لا يحضره الفقيه، جماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.
١١ ـ الطبرسي، رضي الدين أبي الحسن بن الفضل، ت٥٤٨هـ.
ـ مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٩٧٢.
١٢ ـ الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠هـ.
ـ الأمالي، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
١٣ ـ قاسم، نعيم.
ـ حقوق المعلم والمتعلم، دار الهادي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥.
ـ حقوق الوالدين والولد، دار الهادي، بيروت، ط٥، ٢٠٠٥.
ـ حقوق الأفعال، دار الهادي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٦.

١٤ ـ كابلن، لويز ج.
ـ المراهقة، وداعاً أيتها الطفولة، ترجمة: أحمد رمو، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٨.
١٥ ـ الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق، ت ٣٢٩هـ.
ـ الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ (١٩٦٨).
١٦ ـ الليثي، علي بن محمد الواسطي، من أعلام القرن السادس الهجري.
ـ عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٨هـ.
١٧ ـ المجلسي، العلامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.
ـ بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
١٨ ـ معوض، الدكتور خليل.
ـ سيكولوجية النمو، الطفولة والمراهقة.
١٩ ـ المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، ت٤١٣هـ.
ـ الأمالي، تحقيق غفاري، المطبعة الإسلامية، قم، ١٤٠٣هـ.
٢٠ ـ النغيمشي، د.عبد العزيز بن محمد.
ـ المراهقون، دار المسلم، الرياض، ط٣، ١٤١٥هـ.
٢١ ـ النوري، الحاج ميرزا حسين.
ـ مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨.
٢٢ ـ الهندي، علاء الدين علي المتقي، ت ٩٧٥هـ.
ـ كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.

الفهرس

الفصل السادس: عناوين للحب

الفصل السابع: القواسم المشتركة للاختيار الأفضل

الفصل الثامن: المسار السعيد

الفصل التاسع: أسئلة مختارة من لقاءات «منتدى الشباب»

صدر للمؤلف

❊ معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام.

❊ عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة ثانية).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء):

❊ ١ ـ حقوق الجوارح (طبعة سادسة)

❊ ٢ ـ حقوق الوالدين والولد (طبعة سادسة).

❊ ٣ ـ حقوق الأفعال (طبعة رابعة).

❊ ٤ ـ حقوق الزوج والزوجة (طبعة خامسة).

❊ ٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم (طبعة رابعة).

❊ ٦ ـ الحقوق الثلاثة (طبعة رابعة).

❊ ٧ ـ حقوق الناس (طبعة رابعة).

❊ رسالة الحقوق بأجزائها السبعة مجموعة في علبة فنية.

❊ حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة ثالثة).

❊ سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة ثالثة).

❊ قصتي مع الحجاب (طبعة خامسة).

❊ صدرت هذه الكتب عن دار الهادي ـ لبنان

* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

❊ حزب الله لبنان ـ خط مشى گذشته وآينده‌ٔ آن

انتشارات اطلاعات، تهران.

HTTP: //WWW.naimkassem.org.Email:info@naimkassem.org